ليونارا هرنبلو

كليوباترا

أميرة الحرب والحب

ترجمة : حسام أبو سعدة

دار مشارق

كليوباترا أميرة الحرب والحب

ترجمة

حسام أبو سعدة

الناشر

دار مشـــارق

كليوباترا أميرة الحرب والحب

ترجمة

حسام أبو سعدة

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/٤٨٠٢
الطبعة الأولى : ٢٠٠٩

دار طيبة للطباعة ـ الجيزة

دار مشارق للنشر والتوزيع
١٥ شارع الفاروق عمر بن الخطاب – طالبية – فيصل
ت : ٣٧٢٤١٨٠٣ – ٠١٠٥٥٩٣٣١٧ – ٠١٢٦٨٧٢٩٠٦
E-Mail : Mshareq@hotmail.com

١ ـ الخيمة القرمزية

فى يوم مشرق من أيام نهاية عام ٤٨ ق.م، على ساحل إفريقيا الشمالى، التقى جيشان : جيش الملك "بطليموس"، ملك مصر الذى كان فتى صغيراً فى الخامسة عشر، وجيش زوجته وأخته "كليوباترا".

من الصعب على المرء تخيل ما هو أقسى من ذلك. شابان صغيران، أخ وأخته، زوج وزوجته، يتلهف كل منهما قتلَ الآخر لينفرد بحكم البلاد التى ورثناها عن والدهما ليحكما سوياً.

الملكة كانت الأكبر سناً، تقترب من العشرين من العمر، جميلة، ذكية ومتهورة. إنها " كليوباترا " التى أصبحت واحدة من عشر نساء هن الأكثر شهرة على مدار التاريخ كله.

مات والدهما " بطليموس أولات " منذ ثلاث سنوات. حكمت "كليوباترا" مصر بعض الوقت بالتعاون مع أخيها وزوجها، ولكن منذ ستة أشهر دبت خلافات ومشاجرات عنيفة جعلتهما من ألد الأعداء المقربين من أخيها " بطليموس الثالث عشر " كانوا حاقدين عليها، لأنها كانت بعيدة عن سيطرتهم، كيف تخضع لهم وهى تتسم بالعناد وقوة الشخصية ؟.. ولذلك عمل "بوثان" الحاجب الخاص لأخيها على إبعادها عن القصر

الملكى بالإسكندرية، القصر الذى ولدت فيه وحيث عاشت طوال حياتها.

هربت الملكة المنفية إلى الصحراء الكبرى، بعيداً عن المدينة المحرمة عليها، وكانت قد قررت الحرب فى سبيل الوصول إلى هدفها، وهدفها هو مصر. تلقت كل أنواع الدعم اللازم، كان يأتيها الدعم من كل أنحاء المملكة، من داخل القصر نفسه، من داخل الجيش، كان هناك رجال أقوياء مخلصون يعتقدون فى رجاحة عقلها.

ذهل "بوثان"، بينما "بطليموس" الذى كان ضعيفاً ارتجف فى هلع .

فى عجلة، حشد كل جيوشه لمحاربة أخته الطموحة، ونشبت الحرب الأهلية بمنتهى الشراسة. وعادة، فى الحروب الأهلية يقتتل الرجال ويدمرون بلادهم دون أن يشعروا بذلك.

فى هذا اليوم، وقفت " كليوباترا " متطلعة إلى الصحراء أمام خيمتها المصنوعة من الكتان الفاخر القرمزى المزركش بخيوط مذهبة، كانت تحتمى بالظلال من لهيب الصحراء.

أقامت معسكرها خلف التبة حتى يكون بعيداً عن العيون. كانت قلقة، مضطربة، تفضل الاشتراك فى الأحداث بدلاً من الانتظار فى صبر.

كانت خمرية، نحيفة، مفعمة بالنشاط والحيوية. تبدو أصغر من سنها الحقيقى. رغم وجودها بعيداً عن الأنظار داخل خيمتها إلا أنها كانت تتحرك بخيلاء وكبرياء كما يجب أن تكون الملكة.

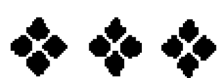
كانت واثقة منذ طفولتها بأنها ستمتلك فى يوم من الأيام السلطة المطلقة، وكانت تدرك تماماً أن تحقيق هذا الحلم ليس سهلاً أبداً.

كان لها إخوة كثيرون أكبر منها سناً، تفوقت عليهم جميعاً بمنتهى

اليسر. "بطليموس" أخطرهم لأنه يستمع لنصائح حاجبه الخاص "بوثان".

القت نظرة إلى الصحراء البعيدة، كانت قوات حرسها الخاص تعسكر فى مكان قريب منها، الجنود يلتفون حول قائدهم " باراك "، إنهم مثلها، ينتظرون الأخبار الآتية من ميدان القتال بصبر نافذ .

أدركت الملكة أنه لا جدوى من الانتظار، الأيام ستمر دون الوصول إلى نتائج حاسمة. تحلم بالعودة إلى الإسكندرية منتصرة. تشعر فى داخل نفسها أن مصر ملك خاص بها، ويجب أن تفعل كل شيء من أجل استعادة مصر، ولم تفكر لحظة واحدة فيما يجب عليها أن تفعله من أجل مصر. رغم أن آباءها وأجدادها ليسوا مصريين حقيقيين إلا أنهم حكموا مصر طوال ثلاثمائة عام .



" كليوباترا " مثل كل أسلافها، من أصل إغريقى، من "مقدونيا" التى تقع فى شمال اليونان، تنحدر من أسرة "بطليموس الأول" الذى كان قائداً كبيراً فى جيش "الإسكندر الأكبر" فى زمن الفتوحات، ثم حكم مصر وأسس قواعد الملك لأسرته.

ولكى يكسر "إسكندر" شوكة المصريين قرر ضم مصر إلى مملكته الإغريقية، وأنشأ لها عاصمة جديدة منحها اسمه، وكانت الإسكندرية. اختار لهذه العاصمة موقعا دقيقا على ساحل البحر المتوسط، حيث تختلط مياه النيل الخضراء بمياه البحر الزرقاء.

ولأن "إسكندر" كان عاشقاً للطابع الإغريقى، فخوراً بالمجد والحضارة الإغريقية، يحتقر ويهين كل ما هو غير إغريقى، قرر إنشاء الإسكندرية

على الطراز الإغريقى تماما، وبفضل موقعها الدقيق نمت بسرعة وأصبحت ملتقى التجارة العالمية بين اقطار العالم الثلاثة : أسيا وإفريقيا وأوروبا.

وبعد موت الفاتح العظيم "إسكندر" قرر "بطليموس" الاستقلال بحكم مصر.

كان "بطليموس الأول" ذكياً وسياسياً محنكاً، لكنه أمر أن يظل الملك حكراً على دماء أهل "مقدونيا" فقط. ولهذا أخذت ذريته فى التزاوج فيما بينهم، إخوة وأخوات حفاظاً على العرش. وظل هذا القانون سائداً طوال ثلاثمائة عام.

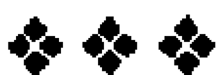
ومن سوء حظ مصر أن الله وهب أسرة "بطليموس" بعض الضعفاء والساذجين. كان لدى الأسرة الكثير من الأطفال، وبسبب هذا القانون دب الخلاف بينهم، راحوا يتقاتلون فى سبيل العرش. الأولاد يقتلون الآباء، وآباء يقتلون الأبناء، كانت المنافسة عنيفة وشرسة فأدت إلى خراب مصر كلها.

وكان من أهم أسباب الخراب أن أسرة "بطليموس" كانت تعيش فى ترف وعزلة، الكثير منهم لم يغادر الإسكندرية أبداً، فأصبحوا يجهلون تماماً أسرار البلاد التى يحكمونها. كانوا ينفقون بسخاء فى تجميل الإسكندرية فقط، أقاموا فيها القصور والمتاحف من أفخم أنواع الرخام، فأصبحت المدينة تتلألأ تحت ضوء الشمس، وتبدو ساحرة فاتنة تحت ضوء القمر. اقاموا الحدائق فى كل مكان، زرعوا كل أنواع الزهور إلى أن انتشرت الرائحة فى كل أرجاء المدينة.

عندما ولدت "كليوباترا" كانت الإسكندرية أعظم وأكبر وأجمل مدينة على ساحل البحر المتوسط كله. الفنار الذى أقيم بجوار الميناء

الفسيح كان من عجائب الدنيا السبع فى ذلك الوقت، هذا بالإضافة إلى المكتبة التى تحوى الآلاف من أوراق البردى والمخطوطات الهامة فى التاريخ وكل فروع العلم. كانت ثروة طائلة لا تقدر بثمن فى ذلك العصر.

يأتى إليها الدارسون من جميع أنحاء العالم، غالباً ما تسمعهم وهم يتحدثون عن "كليوباترا" قائلين : إنها الأقرب إلى "بطليموس الأول" فى طباعه وسحره. كان رجلاً طموحاً فظاً، لكنه كان مثقفاً راقياً، غالبية نسله لم يرثوا منه إلا فظاظة القلب فقط، بينما "كليوباترا" ورثت عنه كل شيء .



كانت "كليوباترا" تقف على عتبة خيمتها، وفجأة سمعت خطوات حصان يقترب. توقف الحصان بالقرب من المعسكر وأفصح الفارس عن هويته للحارس الذى قاده إلى "باراك" قائد المعسكر. تأملته الملكة برهة ثم نادت :

- "شارميان".

خرجت من الخيمة فتاة صغيرة رائعة الحسن، أضخم من "كليوباترا"، خمرية البشرة وتبدو فى نفس سن الملكة تقريباً. إنها الخادمة المفضلة، وهى أحد الأشخاص القليلين الذين تثق بهم "كليوباترا" فى هذا العالم الملىء بالدسائس والمؤامرات. قالت الخادمة :

- تحت أمرك، مولاتى .

أشارت الملكة إلى الجنود وهى تقول :

- أرسلى "مادريان" ليعلم الأخبار التى أتى بها هذا الرجل.

ـ حالاً.

صفقت "شارميان" بيدها مرتين، ثم أعادت المحاولة مرة أخرى. إنها الإشارة المتفق عليها لاستدعاء "مادريان" لكنه لم يأت.



"مادريان" ضئيل الحجم ضخم الرأس. لا أحد يعلم عمره الحقيقى، لم يتغير فى هيئته أى شيء منذ أن قدم إلى قصر والد "كليوباترا" منذ سنوات عديدة. كان عبارة عن هدية من ملك "قبرص" الذى كان أخو الملك "بطليموس الأول".

سعد "بطليموس" كثيراً بهذه الهدية، الرجل مفيد نافع فى أشياء كثيرة. بفضل ضآلة حجمه ورشاقته استطاع أن ينفذ فى كل مكان وينجح فى كل مهمة، يندس بين الصفوف يجمع الأخبار بدقة، استطاع اكتساب قوة كبيرة بحجمه الضئيل.

عندما رأت "كليوباترا" نفسها فى الحلم وهى تحكم مصر حكماً مطلقاً ونهائياً كانت طفلة صغيرة، ومنذ هذا اليوم أصبح "مادريان" ملازماً لها فى كل خطوة، كما أنه استطاع بفضل شجاعته ورشاقته إنقاذ حياتها مرتين.



راحت "شارميان" تدور حول الخيمة تبحث عنه وهى تصفق بيديها، فأتى مهرولاً وهو يقول :

ـ ها أنا ذا أيتها الغبية الصغيرة .

ابتسمت "مادريان" وهى تقول :

- كنت قلقة جداً عليك. الملكة تأمرك باستطلاع الأخبار التى أتى بها هذا الرجل.

قال "مادريان" بثقة :

- ولماذا أقوم بالعمل نفسه مرتين. كنت بجوار القائد أستمع الأخبار حين كنتِ تصفقين بيديك الجميلتين.

ضحكت "شارميان" رغماً عنها ثم قالت :

- فى هذه الحالة يجب أن تمثل فوراً أمام جلالتها.

تقدم "مادريان" إلى الخيمة وهو يقول :

- يجب ذلك رغم أن الأخبار ليست سارة .

٢ ـ الرسائل

داخل الخيمة، جلست "كليوباترا" على الوسائد القطنية. ولأن شمس الصحراء كانت ملتهبة راحت ترتشف النبيذ الطازج في كأس مذهبة، بينما الخادمة "إيراس" تهز بالمروحة المصنوعة من الريش الفاخر.

قبل "مادريان" الأرض بين قدمى الملكة وهو يقول :

ـ مولاتى، يا أغلى كنز فى العالم كله ...

قاطعته قائلة بحزم :

ـ هدئ من روعك، أعرف قدر نفسى، أخبرنى بما علمت بسرعة.

ـ تحت أمرك مولاتى. أتى أحد الفرسان منذ قليل ...

ـ رأيته أيها الأحمق، أكمل .

تردد قليلاً ثم قال :

ـ جنودك التقوا بجيش "بطليموس" فى "بيلوز".

ـ وماذا حدث؟

ـ لا شيء ! ضحايا كثيرون من الجانبين، ثم فر كل منهما أمام الأخر.

لم يبدُ على وجه الملكة أى انفعال، بل ظلت جامدة كالصخر، ثم أكمل

الرجل :

ـ لكن هناك بعض الأخبار الحسنة، الفارس يقول إن المرض عاد إلى أخيكِ الملك. أصبح شاحباً ولم يستطع تناول الطعام أو ركوب فرسه.

ضحكت "كليوباترا" وهى تقول :

ـ حسناً ! ماذا أيضاً ؟

ـ لا شيء مولاتى، لم يحدث أى تقدم فى المعارك فى أية لحظة.

وقفت وهى تقول فى غضب :

ـ قد تستمر هذه الحالة لمدة أسابيع وربما شهورا عديدة. لو كنت رجلا لحاربت بنفسى، جنودى فى حاجة إلى قائد حازم .

فى هذه اللحظة دخلت "شارميان"، التفتت إليها الملكة وهى تقول :

ـ أريد أن أحارب بنفسى بخطوات واثقة جريئة مثله. هل تذكرينه يا "شارميان" ؟

ـ من يا مولاتى؟

ـ الرومانى، الرومانى الوسيم الذى كان يقود قواته لمساعدة أبى على استعادة العرش من أختى "بيرينيس".

ابتسمت "شارميان" ثم تنهدت وهى تقول :

ـ كان هناك جنود رومان كثيرين، كلهم فى غاية الوسامة.

ـ لكن ليس مثله، كان يأمر الجنود بحزم وثقة، كان ضخما أسمر وكأنه ينحدر من سلالة "هرقل". كان يهوى التنزه فى الحديقة أثناء الليل مع أصدقائه. كان يجلس تحت نافذتى وكنت أسمع حديثه.

- هل تذكرين اسمه يا مولاتى؟

- "مارك أنطونيو ". هل علمتِ عمن أتحدث ؟

اندفع "مادريان" الذى لم يكن يستطيع كبح جماح لسانه قائلاً:

- أنا علمت.

التفتت إليه "كليوباترا" ثم سألت :

- ماذا تعرف عن "مارك أنطونيو" ؟

- إنه جسور عنيد، محبوب من الرجال. عندما كان هنا منذ أربع سنوات أثبت شجاعة ومهارة فائقتين فى القتال. يقولون إنه قريب جداً من "يوليوس قيصر" العظيم.

هتفت "شارميان" وهى ترتجف :

- أذكر ذلك جيداً، عندما أتى كانت مولاتى حبيسة فى القصر، عندما أفكر فى هذه الأيام يصيبنى الاكتئاب.

- إذن لا تفكرى فى هذه الأيام. لقد قتلت أختى "بيرينيس"، وكان يجب ذلك.

التفتت "كليوباترا" تشرد إلى الصحراء المترامية بنظرات ضائعة. عندما أتى "أنطونيو" منذ أربع سنوات كانت هى ما تزال طفلة صغيرة. حبستها أختها "بيرينيس" فى القصر. استغلت الأخت فرصة غياب الأب واغتصبت العرش، ولذلك جاء "أنطونيو" بقواته إلى هنا، جاء ليعيد العرش للملك "بطليموس الحادى عشر". تحدثت معه كثيراً فى هذه الأيام، كان يحادثها بأدب جم وهو يبتسم دون أن يعيرها أى اهتمام .

هتفت الملكة بصوت منخفض وكأنها تحدث نفسها :

ـ أتمنى عودة "مارك أنطونيو".

كانت "شارميان" تتمنى الأمنية نفسها، ثم قالت :

ـ الأيام كفيلة لعلاج ألامنا.

فى هذه اللحظة لمحت "إيراس" فارس آخر يدخل المعسكر، وبعد قليل طلب "باراك" قائد المعسكر مقابلة الملكة فى أمر مهم .

كان "باراك" رجلا حازما قوى البنيان، شديد الإخلاص والوفاء، وقفت الملكة أمامه فى ثبات لسماع الأخبار الجديدة.

لقد أتى "يوليوس قيصر" إلى ميناء الإسكندرية محاطا بجيش عظيم وعتاد ضخم. أتى بعد أن هزم منافسه اللدود "بومبيه" فى اليونان، وهكذا أصبح هو الإمبراطور العظيم دون منازع. سألت الملكة :

ـ وأين هو "بومبيه" الآن؟

ـ استطاع الهرب بسفينة صغيرة إلى "بيلوز". إنه يطمع فى مساعدة أخيك، وهذا يفسر قدوم القيصر.

وفجأة أتت الرسالة الثالثة. كانت الرسالة مع موظف مدنى مصرى مصحوباً بحراسة مشددة، وكانت أهم رسالة لأنها قادمة من "يوليوس قيصر" نفسه.

لاحظ القيصر بنفسه مدى إهمال الأسرة الملكية وقسوة قلوب أبنائهم فى حكم الشعب. أصدر أوامره لهم جميعاً بالابتعاد عن العبث بأمور البلاد، كما أرسل بتحياته إلى "بطليموس الثالث عشر" وأخته الملكة "كليوباترا" ثم طلب مقابلة الاثنين معاً، وأمر أن يأتيا إليه فى حراسة جنوده.

اندهش الجميع عندما انفجرت الملكة فى الضحك، ثم قالت :

ـ القيصر العظيم هزم "بومبيه" وليس مصر.

كلنا يعلم أنه بالنسبة لها مصر تعنى "كليوباترا".

استدارت نحو قائدها "باراك" وهمست فى أذنيه :

ـ سألتقى القيصر بالطريقة التى تناسبنى، لن أذهب إليه فى حراسة جنوده وأنا فى مملكتى.

قال "باراك" متردداً :

ـ لكن القيصر طلب مقابلة سموك وأخيك فى وقت واحد.

ـ يجب أن أقابله وحدى قبل "بطليموس" و"بوثان". أخى مريض ولا يستطيع السفر اليوم.

ـ متى ترغب مولاتى فى التحرك؟

ـ حالاً.

٣ ـ الرحلة إلى الإسكندرية

"كليوباترا" لا تتراجع أبداً عن قرارها، ولذلك بدأت الاستعداد لمغادرة المعسكر فى الحال. ارتدت المعطف الذى أتت به "إيراس"، ثم تناولت علبة المجوهرات من "شارميان"، ثم جالت ببصرها فى أرجاء الخيمة القرمزية وهى تتمنى ألا تعود إليها أبداً.

كان على "شارميان" أن تنام فى فراش الملكة الوثير حتى يخدعوا عيون "بطليموس" التى تراقب المعسكر من بعيد، ومن المحتمل أن يكون هناك بعض منهم داخل المعسكر نفسه. "مادريان" سيظل هنا مع "إيراس" و"شارميان". قررت الملكة ألا يصحبها أحد سوى "أبو لودور"، الذى كان عبداً من صقلية يعمل على خدمتها منذ ولادتها، إنه يتمتع بقوة جسدية ضخمة، ولا يصلح فى شيء سوى حمل الأوزان الثقيلة.

اعتملت الغيرة فى صدر "مادريان" على هذا العبد، ليس لطوله الفارع فقط، بل لأنه يتمتع أيضاً بثقة "كليوباترا" التامة.

لم تطلع الملكة أحد بخطتها، لكنها أمرت بحمل السجادة الشرقية الرائعة التى تغطى أرضية الخيمة لتقدمها إلى القيصر. على الفور، رفع "أبو لودور" السجادة إلى العربة التى تنتظر خلف الخيمة. صعدت الملكة

بجواره وانطلقت العربة بسرعة.

بعد اختفاء العربة فى الصحراء شعر "مادريان" بالوحدة، راح يبكى وينتحب وهو يقفز مثل قرد صغير، ثم جرى إلى "إيراس" ووضع رأسه على ركبتها.

"كليوباترا" و"أبو لودور" اتجها إلى قرية صغيرة قريبة جداً من "بيلوز"، تقع القرية على أحد فروع النيل الصغيرة. من هنا يكون الطريق مختصراً سريعاً عن طريق النيل. الطريق الآخر طويل ويمر بقرى كثيرة، وهناك احتمالات كثيرة لوجود عيون "بطليموس" فى هذه القرى، أما عن طريق النيل فالطريق قصير آمن.

عثرا على ضالتهما، قارب صغير يكفيهما بالكاد، وبدأ "أبو لودور" فى التجديف. وما أن ابتعد القارب قليلا عن الشاطئ حتى بدأت "كليوباترا" تفكر بعمق فى القيصر وبلاده الغازية "روما" التى تعتبر أكبر قوة فى العالم بأسره.

إنها تسيطر على البحر الأبيض المتوسط سيطرة تامة. عندما كان والدها فى الحكم كانت كل البلاد والممالك القوية ما هى إلا تابع ذليل للإمبراطورية الرومانية. الجميع يؤكد ولاءه لها، و"روما" تجمع الضرائب والهدايا من الجميع .

لم يكن نفوذ الرومان فى البحر المتوسط فقط، بل يشمل أجزاء كثيرة من أوروبا، نفوذهم يمتد إلى إسبانيا. سمعت من البعض أن نفوذهم يمتد إلى بريطانيا، تلك الجزر البعيدة الباردة فى الشمال. بدا لها أن العالم أجمع يعمل على خدمة وإثراء العاصمة "روما"، وبالرغم من ذلك فهى

تحتقر هذا الطابع الرومانى. الحضارة الإغريقية كانت أعمق وأثرى، الحضارة الإغريقية فنية علمية ثقافية، أما الرومان لا يجيدون شيئا سوى الحرب، لا يهمهم شيء سوى النصر والهزيمة.

مصر تحافظ على استقلالها، ولكن إلى متى ؟ هذا السؤال يلح كثيراً فى رأس "كليوباترا". "روما" تصر على قهر مصر والاستيلاء على ثرواتها. والدها وجدها كانا يعلمان أن "روما" تنتظر أية ذريعة لمحاربة مصر وفرض سيطرتها الكاملة عليها.

لا تجد أمامها حلاً سوى الرضوخ للأمر الواقع مثلما فعل والدها الضعيف من قبل، كان يدفع بالأموال الطائلة إلى "روما" حرصاً على حكم مصر. وفى ذات مرة عندما كان هناك ليقدم فروض الولاء والطاعة استغلت أختها "بيرينيس" غيابه واستولت على الحكم. وفى النهاية أصدرت "روما" حكمها بموت "بيرينيس".

مازالت "كليوباترا" تذكر هذه الأيام الكئيبة. كانت حبيسة فى القصر، تقضى ساعات طويلة بجوار النافذة تتطلع إلى الميناء الفسيح فى انتظار عودة سفن والدها.

وبعد موت الأب، اكتشفت أنه يجب دفع أموال كثيرة لسفراء "روما"، هذا بالإضافة إلى بعض رجال الإمبراطورية المهمين الذين يقيمون فى مصر. لا شك أن قسط كبير من هذه الأموال يذهب إلى "يوليوس قيصر". إذًا القيصر لا يبغى سوى المال. مجلس الشيوخ الذى قضى أن يكون الحكم مناصفة بينها وبين أخيها من الممكن أن يعزل أخيها.

هكذا وجدت "كليوباترا" نفسها تستعطف وتستجدى "روما" مثلما فعل

والدها. لكن لا يوجد طريقة أخرى للحصول على الحكم والأمان. نعم، ترفض أسلوب القيصر الإرهابي في استدعائها لأنه أسلوب متعجرف لا يليق بملكة، لكن لابد أن تصل إلى أهدافها بطريقتها الخاصة.

اختفت الشمس وبدت النجوم في السماء قريبة جداً. نسمات الليل الطازجة دفعت بالقارب سريعاً في طريقه. في الأفق البعيد يبدو كوكب المريخ. لا شك أن القيصر هبط إلى الأرض من هذا الكوكب الغامض، إنه إله الحب "إفروديت" في الحضارة الإغريقية.

سمعت من الناس أن القيصر يكره المصريين خاصة بعد أن لجأ إليهم منافسه "بومبيه" طلباً لمعونتهم. كانت مقتنعة تماماً بهذا التفسير لأنها تتمنى الموت لأعدائها، لكنها في الحقيقة لم تكن تعلم مدى العلاقة بين القيصر و"بومبيه".

كانا صديقين حميمين في يوم من الأيام. "بومبيه" تزوج من ابنة القيصر، كان الرجلان يتقاسمان حكم الإمبراطورية. ولكن في ذات يوم انقسم مجلس الشيوخ في "روما". البعض يناصر القيصر ويعتقد في حكمته. والبعض الآخر يناصر "بومبيه" ويعتقد في آرائه. وهكذا أصبح الصديقان متنافسين من أجل الانفراد بالإمبراطورية.

كانت الحرب الأخيرة بينهما في "فرسال" في اليونان، كانت حرباً شرسة. وفي النهاية فر "بومبيه" هرباً إلى الإسكندرية طمعاً في مساعدة "بطليموس الثالث عشر"، كان "بطليموس" سيتورط في المساعدة لولا نصيحة "بوثان" الذي حذره من بطش القيصر. فقام رجال "بطليموس" بذبح "بومبيه"، وعندما وصل القيصر إلى الإسكندرية أهدوا له رأس عدوه

طمعاً فى مودته.

لكن القيصر الذى كان رجل حرب من الطراز الأول كان أيضاً مرهف الحس ويحترم أصدقائه. ولذلك غضب كثيراً لهذا المشهد المروع وقرر التحقيق مع "بطليموس" ومعاقبته على هذه الوحشية.

سعدت "كليوباترا" كثيراً عندما سمعت بهذه الأخبار. قتل "بومبيه" وأصبح القيصر هو سيد العالم. لا شك أن غضبه على "بطليموس" سيدفعه إلى الاستماع لنصائح أعداء "بطليموس" أى سينفذ نصائحها بسهولة. العقبة الأساسية أمامها هى أنه يجب الوصول إلى القيصر قبل "بطليموس". وكل شىء بعد ذلك سيكون سهلاً، فإنها تثق تماماً فى نفسها وسحرها.

أخذ "أبو لودور" يجدف بكل قوته محاولاً سباق الزمن، بينما غفت الملكة الصغيرة على فراش متسخ مبلل. كانت تفكر فى كيفية اختراق القصر. لا شك أن هناك حراسة مشددة، ولا شك أن هناك الكثير من أعوان "بطليموس" يتلهفون أخبارها. وفى النهاية ابتسمت بعد أن اهتدت إلى حيلة ماكرة للوصول إلى القيصر دون أن تثير غضبه.

٤ ـ مفاجأة للقيصر

وصل الهاربان إلى الإسكندرية مع بزوغ الفجر. رغم أن الرحلة كانت شاقة وطويلة إلا أن الملكة لم تشعر بالإرهاق لانشغال ذهنها وقلقها. رسا "أبو لودور" بالقارب فى مكان بعيد انتظارا لهبوط الظلام .

كانت هناك سفن كثيرة تتلألأ بألوانها الزاهية البراقة، أتوا من العالم البعيد والقريب : الهند، البلاد العربية، الصين، ومن وسط إفريقيا. ينتظرون تفريغ حمولاتهم من النبيذ، البهارات، والفاكهة النادرة التى ستباع فى كل أرجاء المدينة. بينما السفن المصرية تستعد للإبحار لتصدير الحبوب وأوراق البردى بالإضافة إلى التحف النادرة المصنوعة من الزجاج والفخار والتى تبهر العالم كله. كما كان هناك الأسطول الرومانى الضخم الذى يحيط بالقيصر.

ألقت "كليوباترا" نظرة خاطفة سريعة على الميناء، تخشى أن يراها أحد ويتعرف عليها. لو أن عيون "بطليموس" لاحظوا اختفاءها من المعسكر سيبحثون عنها فى كل مكان. ولذلك قبعت فى قاع القارب بينما دثرها "أبو لودور" بالسجادة.

اشتمت رائحة هواء البحر الطازج الذى كانت تفتقده فى الصحراء.

سعدت بضجيج البحارة الذى تألفه. اكتملت الفكرة فى رأسها ولا تنتظر سوى اللحظة المناسبة للتنفيذ. أرادت أن تخبر عبدها بما يجب عليه القيام به، ثم تذكرت أنها أخبرته عدة مرات ولا داعى لذلك. وفى النهاية همس العبد المخلص قائلاً :

ـ مولاتى، لا أحد يرانا الآن. يمكننا التحرك الآن دون خطر.

ـ أنا مستعدة .

بدأ "أبو لودور" فى تنفيذ الأوامر التى لقنتها له من قبل. لف الملكة بالسجادة جيداً، وبحرص شديد ترك لها فتحتين من الطرفين حتى تستطيع لتنفس. ثم ربط السجادة بحبل متين. ثم رفع السجادة فوق كتفه بحذر وهو يلقى بنظرات خاطفة حول نفسه ليتأكد من عدم وجود أحد يرقبه.

اتجه من خلال الشوارع الواسعة إلى القصر الملكى. فى هذا العصر كانت الإسكندرية هى الوحيدة التى تتمتع بالشوارع المتسعة النظيفة، يتصل بعضها البعض عن طريق الميادين الكبيرة، حتى "روما" نفسها و"أثينا" لم يكن هناك سوى أزقة ضيقة متسخة.

منذ أن هبط الظلام بدأ الزحام فى الشوارع. لم يلتفت أحد إلى العبد الذى يحمل السجادة. كان القلق يسيطر على الجميع، يتساءلون عن سبب حضور القيصر وجنوده. ما الذى سيحدث؟ "بطليموس" و"كليوباترا" يتقاتلان، هل يعنى حضور القيصر الآن أن مصر أصبحت تحت الاحتلال الرومانى؟

كان المجتمع فى الإسكندرية خليطاً من اليونانين، السوريين، أرمن،

فارسيين، بالإضافة إلى النوبيين. وفى هذه الليلة الخريفية خرج الجميع إلى الشوارع يستطلع آخر الأخبار.

من داخل السجادة، كانت "كليوباترا" تسمع وتفهم كل ما يدور من حوارات، فهى تعلم عدة لغات وتعرف جميع اللهجات.

سار "أبو لودور" مسرعاً لا يلوى على شىء. اقترب من القصر، وكان الحظ حليفهما، هيئته تدل على أنه عبد ذليل، ولذلك لم يلفت انتباه أى من الحراس الأشداء خارج القصر. كما استطاع خداع بعض أعوان "بطليموس" الذين ما زالوا يقيمون فى القصر. لا شك أنها مغامرة كبيرة لأن بعضهم يعرفه جيداً.

كان يتحرك بتلقائية وبساطة فخدع الجميع. طلب من أحد الحراس مقابلة القيصر لأنه يحمل هدية من الملك. قاده الحارس إلى الداخل حيث الجناح الملكى الذى يقيم فيه القيصر والذى كان من قبل خاصاً بالملكة. ثم قال الحارس بحزم:

ـ قف هنا.

كان هناك مسئول كبير يقف أمام البوابة الضخمة، راح "أبو لودور" يتحدث إليه بثبات وثقة، طال الحديث بينهما، قفز قلب "كليوباترا" بشدة وهى تستمع بحرص إلى كل كلمة. ثم ضرب المسئول البوابة ضربات معينة حسب الإشارة المتفق عليها. فتح الباب وبدت صالة الانتظار.

كان القيصر يستلقى على فراش وثير يغالب النعاس، يقرأ فى البردية التى طلبها من المكتبة. البردية تتحدث عن الحقول المحيطة بالإسكندرية، ولأن القيصر يعرف هذه الحقول جيداً فبدت له البردية مملة. رفع عينه

متسائلاً، فقال المسئول:

ـ مولاى، عبد من طرف ملك مصر يحمل هدية، يقول إنها سجادة رائعة لم تر مثلها من قبل.

ـ خذها منه.

ـ مولاى، العبد يقول إنه لا يجب أن يلمسها أحد قبلك.

تردد القيصر قليلاً ثم قال مازحاً:

ـ هذه الحماقة تسعدنى، دعه يدخل.

ترك القيصر لفافة البردى ليرقب الرجل الذى سيدخل إليه. رآه رجلاً ضخماً يحمل لفافة كبيرة وبالرغم من ذلك يبدو أنها لا تمثل أى ثقل على عضلاته المفتولة. على بعد خطوات من القيصر انحنى "أبو لودور" ثم وضع السجادة وفتحها.

وبحركة سريعة رشيقة وقفت "كليوباترا" أمام "يوليوس قيصر". بدا لها مختلفا تماماً عما كانت تتوقع. كانت تتوقع شاباً ضخماً مفتول العضلات، لكنها وجدته عجوزاً وقوراً وفى عينيه نظرات متأملة مثل الفلاسفة.

راح القيصر يتأملها بحذر شديد مفتوناً بسحرها. فتاة رشيقة صغيرة ترتدى ثياب من الحرير الأصفر وتنتعل صندلاً بسيطاً، لا ترتدى شيئاً من المجوهرات سوى القرط الذهبى الصغير فى أذنيها وعقد من الذهب حول رقبتها، عيناها الواسعتان تلتمعان ببريق خاطف ونظرات ثابتة.

ولأن القيصر كان يستطيع بخبراته الطويلة النفاذ إلى داخل أعماق البشر، أدرك أن هذه الفتاة اللطيفة التى امامه، والتى أتت إليه بلا حراسة أو

تشريفة ما هى إلا "كليوباترا". لم يكن فى القصر أية لوحة تعبر عن ملامحها، لأن "بطليموس" نزع كل صورها كراهية لها. كان القيصر قد سمع الكثير عنها، يعلم بحروبها وخططها العسكرية المدهشة، ولذلك كان يتخيلها امرأة شرسة قبيحة المنظر.

مد لها يده المثقلة بالخواتم الضخمة مبتسماً، ابتسمت وهى تلتقط يده. وقبل أن يقول أى منهما كلمة أدركت أنها انتصرت .

٥ ـ لقاء القدر

بعد أن مرت لحظة الذهول، وجدت "كليوباترا" نفسها تجلس بجوار القيصر، يتحدثان بطلاقة ويسر وكأن كل منهما يعرف الآخر منذ زمن طويل. أمر القيصر حراسه بالانصراف، كما فعلت هى مع "أبو لودور" .

كان بجوار القيصر طبق مذهب. تذكرت ما سمعته عنه، إنه يحب أن يحيط نفسه بالأشياء الثمينة. يقولون إنه يحمل معه فى المعسكر خيوطا فضية خاصة لخيمته. الآن تأكدت أن ما سمعته صحيح. كان فى الطبق حبات التين الطازجة، وكانت تحب هذه الفاكهة الصحراوية النادرة. شرب كل منهما نخب الآخر فى كأسين مطعمين بالزمرد.

طرح عليها القيصر أسئلة كثيرة. دهشته خطتها الماكرة لاقتحام القصر، بهرته عزيمتها الجبارة، لقد قامت بمغامرة لمدة يومين من أجل مقابلته. كان يستمع إليها سعيداً مستمتعاً بنبرات صوتها الساحر مأخوذاً بذكائها الخارق.

أما "كليوباترا" دهشت عندما اكتشفت أنه متحدث راق مهذب. كانت تعتقد أن كل الرومانيين همجيون، حتى "مارك أنطونيو"، رغم أناقته ووسامته إلا أنها تراه خشناً بعض الشيء. التقت من قبل بابن "بومبيه"، رغم

أن هذا الشاب رفيق جيد إلا أنه لا يهتم بالقراءة والفنون. أما القيصر فإنه رجل مختلف. إنه واسع الأفق راق متحضر رغم براعته الفائقة فى الحرب. بهرها بقوته ونفوذه ورجاحة عقله.

أعجبها رأسه الحليق وأنفه الإغريقى المستقيم. أعجبها جبهته النحاسية من لهيب الشمس فى ميادين القتال. كما أخذت بعينيه اللتين تحتفظان بالكثير من الأسرار، وبالرغم من ذلك لمحت فى عينيه طيبة القلب.

كان يجلس بجوارها فى أدب وكأنه ضيف لديها. لم ينس أى منهما أن هذا القصر ملك خاص بها، آل إليها عن طريق الميراث الشرعى. أما القيصر فكان يجب عليه أن يكافح ويقاتل من أجل الوصول إلى المكانة الرفيعة التى وصل إليها. وبالرغم من كل هذا الكفاح ما زال يشعر أن مركزه الاجتماعى المرموق غير مستقر.

منذ نعومة أظافره أعجب بالإسكندر الأكبر، بهره تاريخه المشرف وفتوحاته الكبيرة، واليوم وهو جالس بداخل هذا القصر فى الإسكندرية، شعر بأنه قد حقق كل أحلامه فى النفوذ المطلق.

تحدثا فى مواضيع كثيرة دون الوصول إلى نتائج محددة، وهذا ما أصاب الملكة بخيبة الأمل، لكنها كانت قانعة، على الأقل بأنها نجحت فى أن تمثل مصر أمام القيصر. استمع إليها باهتمام شديد. لم يخف كراهيته واحتقاره لـ "بوثان" الذى كان يطمع فى مكافآت سخية على أفعاله الحقيرة. وفى النهاية أخبر الملكة أنه فى انتظار حضور "بطليموس" فى الغد، فقالت الملكة مبتسمة :

ـ سيدهش من وجودى هنا.

ضحك القيصر مازحاً ثم أكد لها أنه سيأمر بالحراسة اللازمة لشخصها وجناحها. شكرته الملكة وهى تتمنى ألا يكون قراره بتقسيم الملك بينها وبين أخيها.

اطمأنت لعودتها إلى حجرتها. وقفت فى النافذة ترقب الميناء الفسيح، شعرت أن أضواء الفنار الخاطفة ما هى إلا من أجل الترحيب بعودتها.

على الجانب الآخر من البحر توجد بلاد أخرى كثيرة. كانت تحلم وهى طفلة برحلة من الإسكندرية إلى اليونان ثم "روما". هل سيتحقق الحلم ؟

العالم الذى ينتمى إليه القيصر يقع هناك. يستطيع العودة وقتما يشاء، إنه حر تماماً فى أفعاله. سفنه جاهزة ولا يستطيع أحد منعه. لكنها تشعر فى داخلها أن القيصر سيتلكأ فى الرحيل من الإسكندرية. كان اللقاء بينهما من تدابير القدر، وهى واثقة تماماً أن دفة الأمور ستكون فى صالحها.

سعدت كثيراً بالاستلقاء فى فراشها الحريرى، هبت نسمات الحديقة المعطرة، بدا القمر فى الأفق، وغطت فى نوم عميق دون خوف من المستقبل.

٦ ـ وحدها ضد الجميع

فى صباح اليوم التالى، اغتسلت "كليوباترا" بمياه النيل بعد أن خلطتها بالعطر. ثم بدأت فى الاهتمام الشديد بزينتها. تعلم جيداً مدى حسن وجمال نساء روما. يجب أن تبدو أمام القيصر أجمل منهن جميعاً.

سعدت لوجود كل أشيائها الجميلة حولها. بدلت الصندل البسيط بحذاء أنيق. مشطت شعرها برفق شديد وتركته ينساب فوق كتفيها. وضعت أحمر الشفاه ورسمت عينيها بالكحل ثم ارتدت مجوهراتها واستعدت لمواجهة القيصر.

ذهل القيصر لرؤيتها. لم يجد شيئاً من الفتاة البسيطة التى رآها بالأمس. وفى هذه اللحظة اكتشف أن سحرها الرهيب فى أنها تتألق كل يوم بشكل مختلف تماماً أكثر روعة وجمالاً .

ابتسمت مطمئنة وهى تتجول فى القصر، لقد أعاد القيصر اللوحات التى تعبر عن حسنها، والتى أمر أخوها بخلعها من قبل .

عندما أتى "بطليموس" جلست على المقعد الرخامى مختفية خلف أحد الأعمدة فى الردهة الواسعة. من مخبأها رأت أخيها، لا يبدو عليه إمارات الملك أبداً، يحيط به الكثير من المستشارين وكان من بينهم "بوثان" الذى

انحنى أمام القيصر وهو يعتذر فى تذلل وانكسار عن مقتل "بومبيه"، بدا لها ماكراً خبيثاً أكثر من أى وقت مضى. أوحى القيصر إليهم أنهم ينتظرون حضور "كليوباترا"، بينما كانت تستمع إلى كل كلمة بحرص شديد فى انتظار اللحظة المناسبة للظهور.

اعتذر "بطليموس" عن ضيق الوقت، يجب عليه العودة بسرعة إلى ميدان القتال للقضاء على قوات أخته، أكد أن هذا سيتم خلال شهر واحد، ثم أضاف أنه لا يجد أمامه حلاً آخر، أخته ترفض اقتسام العرش معه.

وهنا ظهرت "كليوباترا"، لم تقل أية كلمة، بل جلست بجوار القيصر بهدوء وثقة.

استشاط "بطليموس" غضباً، ثم راح يسب ويلعن أخته، وبحركة طفولية ساخرة خلع التاج وطوح به بعيداً. رمته "كليوباترا" بنظرة باردة وصمت القيصر مذهولاً.

حاول الداهية "بوثان" تهدئة الملك الصغير، حاول أن يبدو متماسكاً أمام الجميع، لكن "بطليموس" رفض الاستماع إلى أية نصيحة. دفع "بوثان" فى حنق وانصرف غاضباً وهو يتهمهم بالغدر والخيانة. جرى "بوثان" خلفه وهو يجاهد نفسه كثيراً حتى لا يلقى بهذا الطفل المدلل من نافذة القيصر.

تابعت الملكة ما يحدث مازحة، ثم قالت :

ـ "بطليموس" لم يتغير. "بوثان" أصبح أكثر مكراً ودهاءً.

فكر القيصر برهة ثم قال :

ـ إنهما يشكلان ثنائياً مضحكاً.

حاول أن يكمل حديثه، لكنه منع نفسه من الكلام. لا يستطيع تثبيت

المرأة الصغيرة على العرش بمفردها. دوره محدد بإعادة السلام إلى مصر، لأن هذا السلام يأتى بأرباح وفيرة إلى روما حتى الآن.

جاهدت "كليوباترا" مرة أخرى لتدارى شعورها بخيبة الأمل. إذا كان القيصر يمتلك قوات كثيفة، يجب عليها التعامل معه على أنها ملكة.

وفجأة، ارتجفا معاً. ما هذه الضجة التى تحدث بالخارج؟ ثم أتى أحد الموظفين ليخبرهم بالأمر. هناك حشد كبير يلتف حول القيصر، يعتقدون أن القيصر سب مليكهم، غاضبين من وجود الرومان فى الإسكندرية، إنهم على وشك الثورة. قال القيصر بحزم :

- "بوثان" يعمل بسرعة. أين سلاحى؟

بعد أن وضع سلاحه اقترب من النافذة الواسعة حتى يبدو واضحاً أمام الجميع، وحدث ما لم تستطع "كليوباترا" نسيانه طوال عمرها. وقف صامتاً ثابتاً ينظر إلى الجماهير الغاضبة بهدوء، وفى النهاية صمتوا جميعاً متطلعين إليه. ثم راح يخبرهم بنبراته القوية عن خطته. أخبرهم أنه لم يأتى إلى هنا لمحاربة مصر، لكن ليساعدها على الاحتفاظ بالسلام والأمان. فى الغد سيكون هناك اجتماع آخر، وبعد هذا الاجتماع سيجدون إجابات لكل الأسئلة التى فى ذهنهم. وإلى أن يتم هذا الاجتماع يجب الاحتفاظ بالنظام والالتزام بالقانون. لم يتحدث عما يستطيع القيام به بقواته ونفوذه، لكنهم جميعاً يعلمون ما الذى يستطيع فعله هذا القائد الرومانى ببلادهم. كما أنهم جميعاً يثقون فى رجاحة عقله.

انصرف الجميع والقيصر يقف ثابتاً يرقبهم، ثم استدار ليجد نظرات الإعجاب فى عينيى "كليوباترا". أدرك الأفكار المرتبكة فى ذهنها، وحتى يخرجها من هذا التيه أخبرها بأنه سمع من الحشود الثائرة أن "بطليموس"

سيحضر الاجتماع، ومن المؤكد أن "بوثان" سيكون حاضراً، ثم أكد لها أنه سيسمح بالحضور لأى شخص يدعوه "بطليموس" ثم أمر حراسه بالحضور بمتابعة الفارين من أمامه.

عندما كان القيصر يتحدث إليها ذهلت لرؤية "مادريان" الذى تركته فى الصحراء. أشارت إليه بالاقتراب، علمت منه أنه اتبع أثرها بصحبة "شارميان" و"إيراس" حتى وصلوا إلى هنا. سعدت الملكة كثيراً بذلك، ثم أمرته بمراقبة كل خطوات "بوثان" بمنتهى الدقة.

اختفت من ملامح القيصر كل علامات النفوذ والسلطة. ابتسم للملكة وأكد لها أنه لن يتركها للجوع. دعاها إلى وجبة سمان مشوى، كما أكد لها أنه سيريها أسراب السمان فيما بعد .

وافقت الملكة على الدعوة. اختفت صيحات "بطليموس"، اختفى ضجيج الجموع الثائرة بالخارج، وبداخلها اختفت كل الشكوك.

٧ ـ وقت السلم

فـى صـبـاح اليـوم التـالى، قبـل الاجتمـاع العـام، التقـى القيـصر بـ"بطليمـوس" بمفـرده. وقـف الحاجـب الكـبير "بوثـان" بعيـداً وهـو يـشعر بالإهانة، لكنه لم يستطع الاعتراض.

الملك الذى ثار بالأمس لرؤية أخته بجوار القيصر عاد إليه هدوئه، بدا متفاهماً مع القيصر، سعيداً بعودته إلى القصر. إنه لا يحب الحرب، يعانى كثيراً بعيداً عن الإسكندرية.

كـان القائـد الرومـانى يجيـد فـن الحـديث، مجـاملاً مقنعـاً، داهـن "بطليموس" ممتدحاً إياه، وبدون مجهود كبير استطاع إقناعه بالسلام مع أخته. كان "بوثان" هو العقبة لشعوره بالتهديدات الجسيمة على أطماعه. قضى القيصر معه ساعة كاملة لإقناعه بمشاركة "كليوباترا" فى الحكم.

كانت الملكة تنتظر فى الجناح المجاور، أتت بأمر من القيصر، وجلس العدوان يتناقشان بهدوء لأول مرة منذ ستة أشهر تقريباً. طلب القيصر من "كليوباترا" الوعد بعدم السخرية من أخيها، فوعدت.

اتجهـوا إلى الردهـة الواسـعة حيث الاجتمـاع العلنـى، مـصحوبين بـنفير البروجـى. ارتجـف كـل الحاضـرين مـن الجـانبين، بـدت علـى وجـوههم أفكـار

ومشاعر متباينة. وبدأ القيصر يتلو عليهم وصية "بطليموس أولات" التى تركها فى روما. وكانت المفاجأة. ترك "أولات" كل أولاده تحت وصاية روما. وهذا سبب مجىء القيصر إلى هنا. الجميع يعلم بالصداقة الوطيدة التى كانت بين "أولات" والقيصر. ثم أكمل القيصر موضحاً أن" قبرص" التى كانت إمارة تابعة لروما لمدة سنوات طويلة ستعود إلى حكم مصر.

أربك هذا الإعلان كل الحاضرين، أجبر الجميع على إعادة ترتيب أفكاره. هللوا فى دهشة، وتعالت صيحاتهم عندما أعلن القيصر أن قبرص ستكون تحت حكم أصغر أبناء "أولات"، إخوة "بطليموس" و"كليوباترا"، فتاة صغيرة فى السابعة عشر تدعى "أرسينوا" وأخيها الذى فى الحادية عشر من العمر.

رفع القيصر يده حتى يجبرهم على الهدوء، ثم أعلن عودة السلام إلى مصر تحت حكم "بطليموس الثالث عشر" وأخته "كليوباترا". وفى الغد سيكون هناك احتفال ضخم بهذه المناسبة.

شعر الجميع بالارتياح لهذه الأخبار، لكن بين مئات الحاضرين كان هناك أربعة أشخاص يشعرون بالقلق. أولهم "بوثان" بالتأكيد، يعلم بمدى كره "كليوباترا" له لأنه المتسبب فى طردها من القصر، والملك الصغير الضعيف سيعجز عن حمايته. فبدأ يعمل عقله فى مواجهة الأخطار المتربصة به.

كما كانت هناك "أرسينوا". لم تكن تحب "بطليموس" كما كانت تكره الملكة بشدة. حتى الآن لا تنسى أن "كليوباترا" وصفتها ذات يوم بأنها عبارة عن "بيرينيس" أخرى. بالتأكيد ليس سلوكها شائناً مثل "بيرينيس"، ليست متهورة، لكنها تتشابه معها فى الطموحات الكبيرة. حكم

"قبرص" لا يكفى لإشباع طموحاتها. الحلم بحكم مصر ولد بداخلها منذ فترة طويلة، تسعى جاهدة لإزاحة "كليوباترا" و"بطليموس"، كانت سعيدة بالحرب بينهما. يبدو أن دماء البطالسة اللعينة كانت تغلى بداخلها. ولأنها لم تكن تميل إلى الثقافة والكتب رفضت من قبل أن تتعلم من أختها "كليوباترا"، لكنها اتبعت نصائح معلمها "جانيماد" الذى كان وسيماً أنيقاً، وبعد فترة قصيرة سقطت فى هواه.

"جانيماد"، هو الآخر طموحاً، يحلم بالثراء والنفوذ من خلال تلميذته ومحبوبته "ارسينوا". "قبرص" لن تحقق له أبداً هذه الطموحات. تبدو له الجزيرة وكأنها منفى كئيب.

الرابع كان موظف رومانى يدعى "أشيلاس" الذى كان مسئولاً عن الجالية الرومانية فى الإسكندرية. أتى إلى هنا فى مهمة سرية من خلال بعض الرجال فى مجلس الشيوخ، وكانت مهمته هى مساعدة "بطليموس" فى حربه ضد "كليوباترا"، الذين أرسلوه يخشونها لأنهم يدركون جيداً قوتها وضعف أخيها. وكان "أشيلاس" محل شك القيصر دائماً.

"بطليموس" كان قانعاً بما وصل إليه، ولكن أثار الإعلان حفيظة هؤلاء الأربعة. وعلى الفور قرر "بوثان" التعاون مع هؤلاء الحانقين الطامعين.

قررت "كليوباترا" إقامة وليمة ضخمة بهذه المناسبة، وقررت الإشراف عليها بنفسها حتى تليق بالقيصر.

أقامت الوليمة فى ردهة واسعة فى ضخامة المعابد. الحوائط مكسوة بالرخام المشغول بالعاج. الأرض تتلألأ بالرخام الأسود، أما فى السقف كان هناك الكثير من المنحوتات المذهبة.

التف مئات المدعوين حول الموائد الكبيرة المصنوعة من العاج. أكلوا

وشربوا فى أوانى ذهبية. أما قائمة الطعام فكانت لا نهاية لها. عصافير وسمك فى كل مكان، لحم الجمل مشوى على الطريقة الإغريقية، رؤوس الخراف مشوية فى الفرن على الطريقة الرومانية، بالإضافة إلى الطواجن على الطريقة المصرية، احتوت الوليمة كل وجبات البحر المتوسط تقريباً. ولأنها تعلم حب القيصر للخمور، أتت بكل أنواعها وأفخرها.

جلس القيصر على قائمة المائدة محاطاً بالملك والملكة. تزينت "كليوباترا" بالجواهر النادرة التى لم ير القيصر مثلها من قبل، ارتدت ثوباً شفافاً من الأخضر الفاتح. قالت مبتسمة :

- هذا لون النيل.

وفى النهاية وقف القيصر يشكر الجميع على الوليمة الفاخرة، ثم عبر لهم عن إعجابه الشديد بمصر، فى كل أسفاره لم ير أجمل من هذا البلد، لم ير أكرم من هذا الشعب. ثم أبدى رغبته فى دراسة النقوش التى فى المعابد الفرعونية، كما أبدى رغبته فى اكتشاف منابع النيل، المصدر الرئيس لرخاء البلاد، ثم قال مؤكداً :

- سأنجح وسأشرب من منابع النيل.

لم يصدقه أحد فى هذه العبارة، لكن "كليوباترا" هى الوحيدة التى صدقته لأنها تعلم جيداً أنه يمتلك طاقات جبارة للوصول إلى أهدافه.

وفى هذه الوليمة بدأ "بوثان" فى رسم خطته. لاحظ ضيق "أشيلاس" و"جانيماد". همس فى أذنيهما دون أن يشعر أحد. غرس بذور الحرب أثناء الاحتفال بالسلام.

الأيام التالية كانت سعيدة للقيصر و"كليوباترا". تجولا فى المدينة.

أكد القائد الرومانى على رغبته فى دراسة آثار الفراعنة، وكانت الملكة خبيرة بهذه الآثار، أثارت فضوله خاصة عندما ذهبت به إلى أهرام الجيزة التى كانت مقابر ملوكهم. بهرته بالأعمدة الضخمة التى تحيط بالمعابد، كما أذهلته بزيارة قبر الإسكندر الأكبر الذى كان مثله الأعلى.

لم يستطع القيصر نسيان هذا القبر أبداً. كانت جثة "إسكندر" داخل تابوت من الكريستال، عليه مفارش ذهبية، لكن هذه المفارش اختفت منذ زمن بعيد. وراح القيصر يقرأ باهتمام بعض النقوش الباقية.

كانا يذهبان كل يوم تقريباً إلى المكتبة التى كانت شاهقة الارتفاع جيدة التهوية. من خلال النوافذ الكثيرة يسقط الضوء على لفائف البردى فتبدو براقة رائعة. اللفائف محفوظة داخل صناديق زجاجية، على كل صندوق ورقة مكتوب عليها اسم البردية. منظمة بدقة حسب الموضوعات. دهش القيصر وقرر أن يجعل كل مكتبات روما على غرارها حين يعود.

فى الأمسيات الخريفية الطازجة، يجلسان فى الحدائق، يتناقشان أو يستلقيان على المقاعد الرخامية. كان الاثنان يعجبان بالأدب الإغريقى، يقرأن معاً بصوت عال، وفى بعض الأحيان يقومان بتمثيل المسرحيات الإغريقية معاً.

قصت عليه "كليوباترا" كل شيء عن حياتها منذ ميلادها حتى الآن، اشتكى لها القيصر من صديقه "بروتاس" الذى تعاون مع "بومبيه" ضده. رغم انتصاره عليهما إلا أنه سامحه إكراماً للصداقة القديمة.

تحدثا أيضاً عن "مارك أنطونيو". القيصر يحبه، و"مارك أنطونيو" يحترمه. فى هذه اللحظة لم تكن تفكر فى هذا الجندى، بل القيصر فقط .

ثم ارتجف قلب "كليوباترا" عندما أخبرها القيصر بأنه قد حان أوان رحيله. رجاله تعبوا كثيراً فى الحروب الأخيرة، كما أنه ابتعد عن روما فترة طويلة. يجب العودة ليتم للإمبراطورية المجد الذى وعدهم به.

٨ ـ معركة الإسكندرية

بينما القيصر والملكة يتجولان فى المدينة بسعادة، كان "بوثان" يتحرك بنشاط محموم، عقد مع "أشيلاس"، "أرسينوا" و"جانيماد" عدة اجتماعات سرية.

الملك "بطليموس" يقيم فى القصر وكأنه ضيف القيصر، له الحرية المطلقة فى أن يفعل ما يشاء، لكن "بوثان" ردد فى كل أنحاء المدينة أن "بطليموس" لا يحكم مصر كما وعد القيصر. وكان شعب الإسكندرية مخلصاً لبلاده يحترم مليكه. استبد القلق بقلوب الناس من وجود القائد الرومانى فى القصر. بدأت خطة "بوثان" تأتى بمفعولها، أصبحت الثورة قاب قوسين أو أدنى .

بدون علم القيصر تناقصت كميات الغذاء التى تصل إلى جنوده. حاول "بوثان" غرس التمرد فى نفوسهم محتجاً بأشياء كثيرة، دون جدوى. وفى النهاية اكتشف أن الحل الوحيد لكل مشاكله هو مقتل القيصر. لكن "كليوباترا" دائماً هى أكبر عقبة فى طريقه. القيصر فى حمايتها، فكيف يمكن قتله؟...

تعاون مع "أرسينوا" و"جانيماد" واتفقوا على دس السم فى النبيذ. لكن

القيصر اكتشف المؤامرة من حلاقه الخاص الذى علم بالتفاصيل من "مادريان" .

قرر القيصر ضرب عنق "بوثان" لكن هذا لم يمنع الشعب من الثورة. اعتبر السكندريون أن هذا دليل على وطنية "بوثان" وإخلاصه للملك.

راح القيصر و"كليوباترا" يرقبان الحشود التى تجمعت حول القصر. سفن البحرية المصرية خرجت من الميناء لتبتعد عن مرمى نيران السفن الرومانية. إنه الاستعداد للحرب. والقيصر يعلم هذه الأمور جيداً. يجب عليه أن يفعل شيئاً وبسرعة.

لم يكن يرغب فى دفع جيوشه للاشتراك فى حرب أهلية. ولذلك أرسل بمبعوثين إلى "أشيلاس" ليأمره بإبعاد الجنود الرومانيين الذين يعسكرون بجوار الجنود المصريين خارج المدينة.

تبعاً لأوامر القيصر والملكة كان المطلوب منع الحرب بينهم ثم العودة إلى الإسكندرية لمنع الثورة. لكن "أشيلاس" وجد الفرصة سانحة، فقتل المبعوثين فور وصولهما إليه.

ترك "بطليموس" القصر، عاد إلى الصحراء. بينما "أشيلاس" وقواته ينتظرون عودته للقبض على الملكة وإعدامها.

راح القيصر و"كليوباترا" يتابعان الأخبار فى قلق شديد. القائد الرومانى واثق من إخلاص جنوده، لكن الكثير منهم الآن بعيد عنه ولا يستطيع السيطرة عليه، وبعض الجنود القريبين من القصر أصبحوا فى جانب "أشيلاس". مازال يوجد فى الميناء بعض سفنه، مازالت الفرصة ممكنة للإبحار، لكن لو فعل ذلك ماذا سيكون مصير "كليوباترا" ؟ الإعدام

بالتأكيد ... هذا ما منع القيصر من الإبحار.

المواجهة أصبحت معقدة. بدأت قوات "أشيلاس" في مهاجمة المدينة. أصبحت الشوارع الواسعة الأنيقة ميداناً للمعارك.

من خلال وجوده في القصر، استطاع القيصر إحكام قبضته على موقع مهم في الميناء، الموقع الذي يحوي الفنار، وبدون الفنار يعجز الجميع عن الدخول أو الخروج من الميناء.

قوات القصر أصبحت قليلة ضعيفة، استغلت "أرسينوا" ذلك وهربت مع عشيقها "جانيماد" وهي تحلم بالحكم. أرسل القيصر بكل رجاله القليلين لمواجهة المتمردين في الشوارع القريبة مدافعاً عن القصر.

وجد "بطليموس" نفسه عاجزاً عن الدفاع عن عرشه في مواجهة المنافسة الجديدة. كما أن "كليوباترا" التي هي زوجته بالاسم فقط، والجميع يعلم ذلك، هي الآن بجوار القيصر. وهكذا أصبح مكروهاً محتقراً من الشعب.

رغم خبرات القيصر الغزيرة. ورغم أن "كليوباترا" تمتلك بعض القوات المخلصة تحت قيادة "باراك" يعملون في الدفاع عنها، إلا أنها اكتشفت أن الأيام التي قضتها في الخيمة القرمزية كانت ناعمة هادئة بالمقارنة مع هذه المحنة العصيبة.

في هذه المحنة، استطاعت الملكة اكتساب القيصر إلى جانبها. سواء كانا في القصر أو في الخيمة على أطراف المدينة، كانت دائماً تعمل على راحته. لا يفترقان إلا لحظات قليلة، وفي هذه اللحظات كانت تعد له المفاجآت السارة لتدخل البهجة إلى قلبه، تعد له الطعام الذي يحبه بحرص

شديد. من المؤكد أن هذه الأفعال ليست مهمة فى الحرب. ومن المؤكد أنها هامت عشقاً بالقيصر.

حاولت "أرسينوا" بالتعاون مع "جانيماد" فى محاصرة القيصر و"كليوباترا" داخل القصر، منعا عنهما المياه الصالحة للشرب عن طريق تسريب مياه البحر المالحة إلى الماسورة التى تغذى القصر وكل المنطقة المحيطة به. واضطر القيصر إلى سحب بعض جنوده من المعركة لإنشاء خط جديد.

القيصر و"كليوباترا" يجاهدان فى صبر ورضاء، لكن ما يحزنهما ويثقل عليهما هو تدمير التماثيل ونهب التحف الفنية النادرة. اكتسحت المدينة فوضى عارمة قضت على كل كنوزها الثقافية والفنية التى أنشئت فى خلال قرون عديدة. وهكذا فقدت البشرية الكثير.

أرسل القيصر إلى روما وبلدان أخرى يطلب الإمدادات العاجلة. أصبح أعداؤه كثيرين وجنوده ممزقين. لم يستطع الاحتفاظ بمكانته إلا بفضل ذكائه وحسه العسكرى.

فى نافذة القصر، جلست "كليوباترا" بجوار "شارميان" ترقبان المعركة الدائرة بجوار الفنار. القوات الرومانية تبحر بالقوارب الصغيرة، انقلب القارب الخاص بالقيصر، فسقط هو و"أبو لودور" الذى كان بجواره فى المياه. عاون "أبو لودور" القيصر للتخلص من أسلحته الثقيلة. وسبح الاثنان معاً محاولين تفادى سهام المصريين.

كان القيصر يسبح بيد واحدة، بينما فى اليد الأخرة بعض الأوراق الهامة، كما كان عليه معاونة عبد "كليوباترا" للوصول إلى الشاطئ.

تـرك القيـصر معطفـه القرمـزى فـى البحـر علـى سبيل التـضليل، التقطـه الجنود المصريون، وربطوه فيما بعد فى عصا وداروا بـه فـى الشوارع ليؤكـدوا انتصارهم.

بعـد هـذا اليـوم العـصيب بـدأت الدفـة تـدور لـصالح القيـصر. رسـت الإمدادات فى "بيلوز" وبدأت التحرك إلى الإسكندرية. "أشيلاس" اختلف مـع "أرسينوا" و"جانيماد" ثم تم قتله على يد "جانيماد". وهكذا وجدت "أرسينوا" نفسها وحيدة بلا معـين. غرورهـا وخلقهـا الـسىء جعـل الأصـدقاء ينفضون مـن حولهـا، ثـم انقلب عليهـا شـعب الإسكندرية بعـد أن لاحظ الـدمار الـذى حاق بمدينته.

أدرك القيـصر أنهـا اللحظـة المناسبة. أعلـن فـى المدينـة أنـه سـيرحل فـى اتجـاه الشرق. أمـر سـفنه بـالخروج مـن الميناء أثنـاء النهار، وفـى أثنـاء الليـل تحركـت الـسفن فـى اتجـاه الغـرب، وبالاتفـاق مـع قواتـه المرابطـة فـى "بيلـوز" حاصر قوات "بطليموس" الذى كان يحاول الاتجاه إلى الدلتا. وما أن سطع ضوء النهار حتـى أصبح القيصر وقواته يحتلان معسكر "بطليموس" .

حاولـت القـوات المـصرية الفـرار، لكـن القيـصر قطـع علـيهم كـل الطـرق وفـى النهايـة غـرق "بطليمـوس" فـى النيـل. وعنـدما أتـوا بجثتـه للقيـصر نـزع السلاح من ملابسه وقدمه هدية لـ "كليوباترا" دليلاً على أنها تخلـصت مـن عدوها اللدود.

سـجنت "أرسينوا"، وأعدم "جانيماد" .

انتهـت معركـة الإسـكندرية التـى دامـت خمـسة أشـهر. بالنـسبة للقيـصر تعتبر هذه الأحداث مجداً جديداً فى تاريخـه الحافل. وبالنـسبة للمـصريين تعنـى أن المستقبل أسوأ، وبالنسبة للسكندريين تعنى ضياع كنـوزهم الثمينـة

بالإضافة إلى موت الكثير من أبنائهم .

وبالنسبة لـ "كليوباترا" فهذا يعنى نهاية علاقتها بالبطالمة، وبدأت الانشغال بقضيتها الخاصة، وقضيتها هى القيصر.

كل الحروب التى خاضها القيصر من قبل كانت من أجل الحصول على المجد والشرف، لكن هذه الحرب كانت من أجل الحب.

فى كل التاريخ البشرى لم تحدث حروب من أجل الحب إلا مرتين فقط: حرب طروادة من أجل "هيلين"، وحرب الإسكندرية من أجل "كليوباترا" .

٩ ـ الرحلة

غرقت الإسكندرية فى قلق مميت عندما عادت قوات القيصر منتصرة. الحطام يسد الشوارع، الناس ترتجف فى خوف وهم يرتدون ملابس الحداد ويرقبون الجنود الرومان وهم يتحركون فى كل مكان بزهو المنتصرين. يعلمون جيداً بالخراب الذى حاق بكل البلاد التى سقطت تحت سطوة الرومان. لا أحد يجرؤ على طلب الرحمة من الإمبراطورية العظيمة.

لكن القيصر طمأن مخاوفهم بسرعة. أعلن أن الدمار الذى حدث فى هذا الشتاء سيختفى بسرعة. لم يلمح بكلمة واحدة عن معاقبتهم، بل أكد مسئوليته على إعادة العمار، وأكد أن هذا سيحدث فى فصل الربيع القادم .

كان سبب تسامحه هو انبهاره بالمدينة الرائعة التى شيدها القائد العظيم "إسكندر الأكبر" ويتمنى من داخله أن تكون هذه المدينة تحت سلطته. كما كان هناك سبب آخر، وهو الأهم، كان يبغى إعادة السلام إلى المدينة التى تعيش فيها وتحكمها محبوبته.

لقد أعاد للملكة عرشها. والآن وفقاً لتقاليد البطالمة، ينبغى أن تتزوج من أصغر إخوتها. مجرد زواج اسمى فقط حتى يتم تطبيق القانون الذى وضعه "بطليموس الأول". وكان هذا الأخ فى الحادية عشر من العمر. طفل

بشوش لطيف، كما أنه ملك "قبرص" كما أعلن القيصر من قبل، ولابد أن يطلق عليه اسم "بطليموس الرابع عشر". لم تتعاطف "كليوباترا" مع أحد من أسرتها أبداً سوى هذا الطفل. والقيصر أيضا كان يحبه، ولذلك أهداه حصانه الخاص.

حتى الآن، لا يبدى الطفل أية رغبة فى النفوذ والسلطة. الملكة تتعامل معه مثلما تتعامل مع عبدها "أبو لودور"، تحتفظ به بجوارها حفاظاً على المظهر العام. لا تريد إثارة المتاعب فى هذا الوقت، الموقف لا يحتمل أية مغامرة. كانت تعاونه على الاستحمام بنوع صابونها نفسه، وتعطره بعطرها نفسه.

كتب القيصر التقرير الذى سيرسله إلى مجلس الشيوخ فى روما. يعلم جيداً أنهم هناك لا يجدون أية فضيلة فى "كليوباترا" ولذلك كتب فى تقريره : "احتفظت لها بالعرش بسبب وفائها لنا ومعاونتها لنا فى بسط نفوذنا فى المناطق المهمة هنا".

أما "أرسينوا" فقد تم ترحيلها إلى روما، تنتظر عودة القيصر حتى تسير أمامه أسيرة فى موكب النصر. لا شك أنه عقاب شديد لغرورها وطمعها. أبدت "كليوباترا" رغبتها فى حضور هذا الموكب، لكن القيصر رفض بشدة. يعلم أن هذا سيترك انطباعا سيئاً جداً عن "كليوباترا" فى نفوس الرومان، إنهم يحتقرون الأخوة عندما يتصارعون ويتقاتلون.

انتهت الحرب، لا يوجد مبرر لبقاء القيصر بالإسكندرية سوى حبه لـ"كليوباترا" التى تزوجها وفقاً للقانون المصرى، ولأن القيصر له زوجة فى روما، فان زواجه من "كليوباترا" سيكون مرفوضا تماماً. فى روما لا يعترفون إلا بزوجة واحدة فقط، أما فى مصر من حق الرجل التزوج بأكثر من

امرأة.

بدأ القيصر يفكر فى حل لهذه المشكلة، وفى أثناء ذلك أعدت "كليوباترا" لرحلة بطول نهر النيل. رحلة للاحتفال والاستمتاع.

أعد الزوجان سفينة حربية ضخمة لهذه الرحلة، يصل ارتفاعها إلى خمسين متراً فوق سطح الماء. طوابقها السبع محاطة بالجسور، فى مقدمة كل طابق برج للمراقبة. الجدران مرسومة بأيدى أمهر الرسامين. حجرة الطعام فقط كانت على الطابع المصرى، حوائطها مكسوة بخشب الأرز، أما بقية السفينة كانت على الطراز الإغريقى حسب رغبة "كليوباترا". باب حجرة القيصر منقوش عليه إحدى أساطير الإلياذة. أعلن القيصر أنه لم يجد، ولم يحلم بسفينة فى مثل هذه الفخامة وهذه الراحة أبداً. وكل الشعب المصرى الذى رآها أكد ذلك.

كما كان على السفينة معبد صغير خاص للإله "إفروديت" وأمامه حديقة صغيرة. أما الجسور فكلها مرصعة بالجواهر الثمينة والأحجار الكريمة.

اصطحب السفينة أربعمائة قارب يحملون العبيد والخدم التابعين للقيصر و"كليوباترا" ، وأيضا الممثلين والراقصين، كان القيصر مولع بالمسرحيات الإغريقية. أما الطباخون فكانت لهم سفينة خاصة بهم، ومعهم كل ما يحتاجون إليه لإعداد الولائم الفاخرة.

رغم أن القيصر لم يكن يتوقع حدوث أية ثورات إلا أنه اصطحب معه بعض قواته، آلاف من الجنود الرومان يحيطون به تحسباً لأية ظروف طارئة.

امتدت الرحلة عدة أسابيع، رحلة سعيدة هادئة. بعد أن اجتازوا الدلتا أبحروا أكثر من مائة ميل. وسعد القيصر كثيراً لرؤية مياه النيل. تحت ظلال الشمسية القطنية، عندما يجلس مع "كليوباترا" أدرك مدى أهمية هذا النهر. اكتشف وجود قنوات كثيرة تتفرع منه، أحد هذه القنوات تم حفرها قبل حرب طروادة.

دهش لعدم وجود أمطار فى هذا الوقت من السنة. سعد كثيراً لرؤية الأعمدة الضخمة فى المعابد، بجوار هذه الأعمدة أتى "أفلاطون" للدراسة.

زار مدينة "ممفيس" التى تعتبر ثانى مدينة فى الأهمية بعد الإسكندرية. وأعلن فيما بعد أنه لم ير شعبا فى الدنيا أفضل وأكرم من شعب الأهرامات. كان يجلس بجوار "كليوباترا" مذهولاً يدرس كل ما حوله بدقة وعناية.

أصبح كارهاً العودة إلى روما. هذه الرحلة النيلية هى أول أجازة يحصل عليها منذ سنوات عديدة. كان يرغب فى متابعة النيل حتى الوصول إلى إثيوبيا، لكنه يعلم جيداً أن بلاده تنتظره، والقلق استبد بجنوده.

وفى النهاية، اتخذ القيصر و"كليوباترا" القرار الصعب، أمرا ربان السفينة بالالتفاف والعودة إلى الإسكندرية. وهناك وجد القيصر الكثير من الرسائل تحثه على العودة، وعلى الفور بدأ إعداد نفسه للرحيل وهو يعد "كليوباترا" بالعودة إليها فى أسرع وقت ممكن.

فى الساعات الأخيرة، طلبت "كليوباترا" من القيصر أن يأخذ معه "مادريان". فقال القيصر محتجاً :

- سيضيع فى روما. لا فائدة منه إلا أنه سيشغلنى به.

ضحك القيصر ساخراً، هذا القزم لا يصلح أبداً لحراسته، إنها فكرة سخيفة. "كليوباترا" أصرت على طلبها، ووافق القيصر إرضاء لها.

لم يستطع "مادريان" كتمان فخره لأنه مصدر ثقة الملكة، كما أنه كان طواقاً لزيارة روما التى يعتقد أنها تتشابه مع الإسكندرية. وفى ليلة الرحيل انفردت به الملكة وجعلته يقسم أن يتذوق قبل القيصر كل الطعام والشراب الذى سيقدم له.

فى الفجر، بدأت السفن فى الإبحار. وقفت "كليوباترا" وبجوارها "شارميان" على سطح القصر يرقبان السفن وهى تبتعد، لم تستطع "كليوباترا" التحرك من مكانها إلا بعد أن اختفت السفن تماماً فى البحر اللانهائى.

ووقف القيصر على سفينته يرقب الإسكندرية وهى تبتعد. لم يستطع أن يترك مكانه إلا بعد اختفاء المدينة تماماً. ثم دخل حجرته مطمئناً لأنه أعاد للملكة عرشها. وهذه الملكة ستصبح فيما بعد أم ابنه.

١٠ ـ قيصرون

لم يلتقيا إلا بعد مرور عام وشهر. فى هذه الفترة عانت الملكة كثيراً بسبب الفراق. لقد اعتادت وجوده بجوارها.

ومع ذلك، كان هناك أشياء كثيرة يجب عليها القيام بها. بدأت فى إعادة إعمار الإسكندرية بسرعة مذهلة. تتابع كل خطوات العمل فى الترسانة بصحبة "شارميان" و"أبو لودر". أحياناً يصر الملك الصغير "بطليموس" على الذهاب معها إلى الترسانة، وتسمح له إذا كان مجتهدا فى دروسه.

بالإضافة إلى هذا، كان عليها الاستعداد للقادم الجديد. ولدت يوم ٢٣ مايو عام ٤٧ ق.م. ابن القيصر كان وافر الصحة وسيماً. تبدو فى ملامحه الدقيقة عزة النفس والكبرياء، يرقب العالم حوله بعينيه السوداويين مثل والده. كتبت للقيصر تعبر له عن دهشتها من هذا الرضيع الذى يتمتع بنظرات الرجال الناضجين.

اعتملت عاطفة الأمومة فى صدر "كليوباترا". أطلقت عليه اسم "بطليموس القيصر". حفرت اسمه وتاريخ ميلاده على جدران معابد الإسكندرية.

رغم أنها لا تعتقد أبداً فى ديانة الفراعنة إلا أنها شعرت أن ابنها سيكون خالداً فى هذا العالم. وبالرغم من اسمه المنقوش فى المعابد إلا أن الناس أطلقوا عليه اسم "قيصرون".

كان القيصر فى آسيا الصغرى عندما استقبل هذا النبأ. رقص قلبه طرباً، أخيراً أصبح له ابن. قبل "قيصرون" كان له ابنة اسمها "جوليا"، ذكية جميلة، تعلق قلبه بحبها، وكانت الصدمة فاجعة عندما توفيت وهى ما تزال طفلة. وهكذا قرر تبنى ابن أخته "أوكتافيوس"، وتعلق قلبه به. والآن، كل شيء تغير. أصبح له ابن يحمل اسمه. فقام بتوزيع المكافآت السخية على جنوده احتفالا بهذه المناسبة السعيدة.

كتبت له "كليوباترا" لتخبره أن ابنهما أسعد طفل فى مصر. الكل يحبه. السكندريون يصفقون ويهتفون عندما يروه فى نافذة القصر. "أبو لودر" يحمله بحنان بالغ بيديه القويتين. "شارمايان" و"إيراس" لا يفعلان شيئاً سوى تدليله. أما خاله "بطليموس" فلديه الموهبة لإضحاكه.

أصبحت مصر تنعم بالأمان، حرة بعيدة عن تهديدات الرومان. كل المصريون يعلمون أن هذا لم يحدث إلا نتيجة حب القيصر لمليكتهم. ولذلك حظت "كليوباترا" بشعبية ضخمة لم تحظ بها أية ملكة أخرى سواها.

بينما تنعم مصر بالأمان كان القيصر يصارع فى الشرق. كانت رحلته طويلة وشاقة، يحارب "لوسيوس كاسيوس" الذى كان من أعوان غريمه "بومبيه" فى شمال بحر إيجا. ثم اتجه إلى "بون" بالقرب من سوريا لمحاربة "فارناس". لقد استطاع هذا الأمير تكوين جيش قوى وبدأ يحث الناس على الثورة ضد الرومان. كان القيصر مكلفا بتأديب هذا الأمير المنشق. يجب أن

يخضع العالم كله لروما.

لم يكن تحت قيادته سوى ثلاثة ألوية فقط، يبلغ عددهم نحو ثمانية عشر ألف جندى، بينما تحت قيادة "فارناس" أكثر من ضعف هذا العدد. لكن القيصر اتجه إلى "فارناس" دون تردد.

بعد المعركة، جلس داخل خيمته يكتب التقرير إلى مجلس الشيوخ. لم يكن التقرير يحوى إلا ثلاث كلمات : "سأعود، أنا حى، انتصرت" هذه الكلمات القليلة تعبر بدقة عن شخصية القيصر.

عاد إلى روما بسرعة، وكان الاحتفال به يفوق الوصف. وفى هذه الاحتفالات الرائعة شعر بحاجته إلى وجود "كليوباترا" إلى جواره. أرسل إليها يحثها على السفر إليه فى أسرع وقت ممكن.

جدد على شاطئ نهر التبر منزلاً على قطعة أرض كان يملكها، أتى بأمهر الفنانين والبنائين. أحاط المنزل بحديقة غناء. أمر بزراعة أشجار جديدة لحماية "كليوباترا" وابنهما من عيون المتلصصين. أشرف على إعداد المنزل بنفسه رغم أعماله الكثيرة.

سعدت الملكة كثيراً بهذه الدعوة. كانت تحلم بزيارة البلاد القابعة على الجانب الآخر من البحر، كما كانت تتوق لرؤية القيصر.

أعلنت أمام الجميع عن هذه الدعوة، كما أعلنت عن السلام التام الذى سيحدث مع مجلس الشيوخ هناك. اعتبرت هذه الدعوة فخرا لها وشرفا لا يضاهيه شرف. تذكرت الرحلة التى قام بها والدها إلى هناك ليستجدى مجلس الشيوخ ويتذلل لبعض أولى الأمر لمعاونته على استرداد عرشه. رحلة مخزية بلا شك. أما رحلتها فتختلف تماماً.

وفـى رومـا، عنـدما أعلـن عـن دعـوة "كليوبـاترا" ثـارت ضـجة كـبيرة. اختلفـت الآراء والتخمينـات. لكـن الجميـع يعلـم مـدى حـب القيـصر لهـا. ولـذلك أصـبح الجميـع، أصـدقاء أو أعـداء، يتلـهفون رؤيـة هـذه المـرأة الأسطورية.

كـان الرومـان مثـل الإغريـق، يحتقـرون كـل شـعوب العـالم، خاصـة المصريون لأن آلهـتهم علـى شـكل حيوانـات لهـا أجـساد غريبـة. لا شـك أن مليكتهم ستكون متوحشة همجية.

وبدأت "كليوباترا" تستعد للسفر إلى روما بصحبة ابنها "قيصرون".

١١ ـ الأشرعة القرمزية

يوم السفر كانت الشمس ساطعة والسماء صافية. استبشرت خيراً بذلك.

لم تكن "كليوباترا" ممن يسافرون بقليل من الأمتعة. امتلأت مخازن السفينة عن آخرها. وكان بين الأمتعة كميات ضخمة من الورد البلدى. الزهرة المفضلة لديها. ورود حمراء طازجة. وانتشرت الرائحة العطرة فى كل أركان السفينة. كان من ضمن أسرار السكندريين أنهم اكتشفوا طريقة لحفظ الورود طازجة لمدة عدة أشهر. وللأسف اندثر هذا السر واختفى للأبد.

من بين أمتعتها هدايا كثيرة، وقعت على بعضها بصفتها ملكة مصر، والبعض الآخر بصفتها زوجة القيصر.

أما مرافقوها فكانوا كثيرين، معظمهم من رجال البلاط الملكى. وبالطبع من بينهم "شارميان" و"إيراس" بالإضافة إلى العملاق "أبو لودر". ثلاثتهم فى غاية السعادة بهذه الرحلة. أما "بطليموس" الذى بلغ الثانية عشر فى هذا الوقت كان قلقاً من مغادرة الإسكندرية. لم يكن يهتم باكتشاف العالم المجهول مثل أخته. كان يحب مصر ويتساءل فى نفسه

إن كان سيعتاد على أسلوب الحياة هناك.

الطفل الملكى لا يدرك شيئاً، غارقاً فى نومه العميق، لا يأبه لأحد.

تذكرت أن والدها كان يشكو كثيراً من الوجبات الرومانية. ولذلك اصطحبت معها ثلاثة طباخين بالإضافة إلى كمية ضخمة من الحبوب والمأكولات السكندرية المفضلة لديها.

دعت لاصطحابها مجموعة كبيرة من العلماء، من بينهم "سوسيجان" عالم إغريقى مشهور، ترك بلاده الأصلية وأتى إلى هنا للدراسة فى مكتبة الإسكندرية. القيصر كان يعرفه ويهتم به. هى التى اقترحت على القيصر الاقتراب من هذا العالم للاستفادة منه. كما كان أحد مدرسين "بطليموس" .

أخيراً، خرجت الملكة من قصرها. تهادت فى خيلاء وهى تهبط الدرج الرخامى الأبيض الذى يؤدى إلى داخل الميناء، حيث ترسو السفينة بأشرعتها المغلقة.

اصطف آلاف السكندريين على الأرصفة وعلى أسطح المنازل لوداع مليكتهم. بإشارة منها فك البحارة الحبال، وفى لمح البصر ارتفعت الأشرعة القرمزية تخرق عنان السماء. وهتفت الجموع من كل أرجاء الإسكندرية :

ـ الوداع يا جلالة الملكة.

ـ الوداع يا "كليوباترا" ابنة كل الآلهة.

وقفت الملكة على جسر السفينة، أخذت "قيصرون" من أيدى "إيراس". كان الرضيع نائماً لا يشعر بشيء من مراسم الوداع، استيقظ بين يدى أمه وابتسم لها. رفعته لأعلى ليتمكن من رؤية مصر، مسقط رأسه، البلد الذى

سيحكمه فى المستقبل.

لم يلتفت الرضيع لشيء سوى الأشرعة القرمزية التى ترفرف فوق رأسه، مد يده الصغيرة محاولاً الإمساك بها فضحكت "كليوباترا" مازحة. قبلته ثم لفت حوله الغطاء بحنان بالغ وهى تعيده إلى "إيراس" وتقول :

- ضعيه فى فراشه فى حجرته.

- ألن ترتاح مولاتى أيضاً ؟

- حالاً. لكن الآن اتركونى وحدى. لا أريد أن يزعجنى أحد.

انحنت "إيراس" ثم انصرفت وهى تتأرجح، لقد بدأت السفينة فى التحرك.

وقفت "كليوباترا" ترقب مملكتها وهى تبتعد رويداً رويداً وتساءلت فى نفسها : متى سترى مصر مرة أخرى ؟

تذكرت عندما كانت تجلس فى القصر ترقب السفن وهى تبتعد إلى أن تختفى فى الأفق. اليوم هى على السفينة، وخيالاتها وطموحاتها تندفع بقوة. اليوم هى فى الطريق لمقابلة سيد العالم.

بدأت الرياح تتحرك بسرعة. اختفت الأرض تماماً، رفرفت الأشرعة، وراحت السفينة تعلو وتهبط مع الأمواج التى لم تعهدها "كليوباترا" من قبل. الرطوبة الشديدة بللت وجهها، اشتمت رائحة الهواء المالح، وكانت سعيدة بهذه الرائحة. وفجأة وجدت "شارميان" بجوارها تحيطها بالمعطف القرمزى، فقالت بصوت مرتفع :

- إلى اللقاء يا بلادى.

كانت لحظة مصيرية بالنسبة لـ "كليوباترا". وفى هذه الليلة أخبرها منجمها الخاص أن نجمها ساطع فى السماء أكثر من أى وقت مضى.

١٢ ـ عاش القيصر

فعل القيصر كل ما يستطيعه حتى يكون استقبال "كليوباترا" لائقاً بمكانتها، فكان الاستقبال رائعاً. رست السفينة فى ميناء "أوستى". خرج القيصر إلى أبواب المدينة لاستقبالها بنفسه، وكان معه بعض رجال مجلس الشيوخ بالإضافة إلى الشخصيات المهمة المرموقة. استقبلها الجميع بعبارات الترحيب، تحدثت إليهم بذكاء وحرص وكلمات المجاملات الرقيقة.

قادها القيصر إلى العربة الفاخرة، وكان بجوار العربة "مادريان" القزم يرتدى سلاحاً رومانياً، سعيداً بنفسه فخوراً بأهميته. عندما رأى الملكة ركع تحت قدميها حتى أريكها.

جلس "بطليموس" بجوارهما فى العربة. وبدأ الموكب يخترق المدينة. الشوارع مكتظة بالجماهير الكثيفة، الجميع يتلهف لرؤية الملكة الغريبة. ترتدى ثوباً فاخراً أعدته خصيصاً لهذه المناسبة، مطرز بخيوط الفضة، مرصع بالجواهر الباهرة، كما كان شعرها يتزين بالتحف النادرة. دهش القيصر عندما رآها فى كامل زينتها محاطة بكل أبهة الملك. تبدو الآن مختلفة عن الصورة التى يحتفظ بها فى مخيلته، ومختلفة تماماً عن تلك الفتاة الرشيقة البسيطة التى برزت له فجأة من السجادة.

استقبلها الشعب الرومانى مبهوراً، تجاوبت مع نظراتهم بذكاء ولطف، ولكنها لم تبتسم أبداً. تنتظر حتى تتأكد من مكانتها هى وابنها هنا.

دهشت عندما رأت المدينة. روما ليست نظيفة أبداً، القاذورات فى كل مكان، الشوارع ضيقة ملتوية بعضها مكسو بالحصى حتى أن العربة ترتج بعنف. السمة المميزة للمدينة هى الضوضاء. لم تجد شيئاً من النظام والجمال اللذين اعتادت عليهما فى الإسكندرية. بعد أحد الشوارع الضيقة استدار الموكب، لمحت مياه نهر التبر، التفتت إلى أخيها قائلة:

- إنه النهر الرئيسى هنا، يبدو وكأنه فرع صغير من فروع النيل.

عبر الموكب الجسر تاركاً المدينة خلفه، وبعد قليل وقف أمام الدار. الرومان يعتقدون أن هذه الدار تحفة فنية رائعة، لكنها فى الحقيقة متقشفة صغيرة إذا ما قورنت بقصر الملكة فى الإسكندرية، بالرغم من ذلك أبدت سعادتها. القيصر اهتم بنفسه بأدق التفاصيل. هو الذى رسم تخطيط الحديقة المزروعة بأشجار الصنوبر والبلوط حتى يستطيعا التجول بعيداً عن أعين المتلصصين.

فى الداخل، أعد تصميم الدار بطريقة رائعة ليناسب ذوق الملكة. المقاعد وثيرة والأرائك مريحة. الأرض مكسوة بالسجاجيد الفاخرة، كما كان هناك الكثير من الوسائد الحريرية التى تفضلها الملكة. أما الستائر فكانت خفيفة لتضفى على المكان الشعور بالألفة.

أبدت سعادتها بكل التفاصيل حتى تؤكد للقيصر مدى حبها له. حجرتها تؤدى إلى حديقة صغيرة محاطة بالجدران مخصصة لها هى فقط. حجرة الاستحمام واسعة، فى وسطها فسقية كبيرة مكسوة بالحجر الفرعونى الأحمر القرمزى. كان الرومان ماهرين فى إنشاء شبكات المياه،

ولذلك كانت المياه الساخنة والباردة تصلان إلى الدار فى الوقت نفسه.

بعد التجول فى الدار، جلس القيصر و"كليوباترا" فى الحديقة يستمتعان بالهدوء بعد ضجيج الاحتفالات. جلسا على مقعد رخامى تحت ظل شجرة ضخمة، بينما "قيصرون" يلهو على الأعشاب تحت قدميهما. وبعد برهة، رفع القيصر ابنه وهو يشعر بسعادة عارمة.

بعد أسبوع، بدأ الاحتفال بموكب النصر الأول من بين الاحتفالات الأربعة التى ستقام للقيصر. كان من عادة الرومان الاحتفال بكل نصر عن طريق موكب خاص. لم يستطع أحد قبل القيصر الانتصار أربعة مرات متتالية.

فى الليلة السابقة للاحتفال عبر القيصر نهر التبر لتناول العشاء مع "كليوباترا" على إنفراد. وجدها كعادتها تجلس فى ركنها المفضل بالطابق العلوى. قدم لها تاجاً بسيطاً متواضعاً، وضعه فوق شعرها الأسود وهو يقول:

- أتمنى أن تتزينى به أثناء الاحتفال غداً.

ضحكت قائلة:

- ليس هذا أمراً صعباً.

- أعلم أنك تملكين تيجاناً ضخمة.

- لكنك لم تمنحنى إلا هذا التاج، وأنا فخورة به.

ضحك القيصر وإن بدا على وجه أمارات الجد:

- لن تكون آخر هدية أقدمها لك.

فى خلال الأسبوع الماضى استيقظت كل طموحات "كليوباترا"،

أخبرها القيصر أنه من الممكن أن يحكما العالم، ويكون ابنهما هو الوريث الشرعى. انفجرت كل طموحات البطالمة فى دمائها، لكنها لم تتحدث مع القيصر عن الحكم فى هذه الليلة.

فى اليوم التالى، قادتها العربة إلى روما. اكتشفت مبانى كثيرة أكثر روعة وجمالاً من دارها : مبنى مجلس الشيوخ، الساحة، المعابد، مذبح الإلهة "فستا".

بالرغم من إرهاقها الشديد إلا أنها ارتدت أحد ثيابها البيضاء الكثيرة. ثم لفت نفسها فى المعطف القرمزى الملكى. تزينت بالتاج الصغير الذى أهداه لها، كما تزينت بأثقل وأفخر الأساور التى ورثتها عن أجدادها. أصبحت تتلألأ بفخر. فخر نفسها، بالقيصر، وبابنهما.

فى منصة مجلس الشيوخ التى اكتظت بكل الأعضاء بالإضافة إلى كل المرموقين، كان هناك مكان مخصص لها ولكل مرافقيها. سينطلق موكب النصر من أمامها إلى شوارع المدينة.

صدحت الموسيقى العسكرية. ظهر الجنود مدججين بالسلاح، يمثلون كل الألوية التى شاركت فى الحرب، يحملون شعار الإمبراطورية وأشياء أخرى كثيرة ترمز إلى القوة. بعدهم ستين فتاة صغيرة فرشن الأرض بالورود، ثم علا صوت الموسيقى حتى ارتجت القاعة بأكملها.

ظهر القيصر تحت ضوء الشمس الذهبى، مر أسفل قوس النصر الذى صنع خصيصاً لهذه المناسبة. يقف شامخاً على عربة ضخمة تجرها أربعة خيول قوية البنيان. رفع يده مؤدياً التحية، فصرخ الجميع فى صوت واحد :

ـ عاش القيصر! عاش القيصر!

جال بعينيه السوداويين بين الجموع باحثاً عن "كليوباترا"، وعندما رآها اصطدمت العربة وكاد أن يسقط، وازن نفسه بسرعة وقفز إلى الأرض واقفاً ثابتاً.

هتف الجميع فى جزع. بسرعة أتوا له بعربة أخرى، وعاد الموكب مسيرته وكأن شيئاً لم يحدث.

كانت لحظة مرعبة بالنسبة للملكة. بدأت تفكر فى تكهنات كثيرة كلها متشائمة. تذكرت أحاديث القيصر لها عندما كان فى الإسكندرية. كان يسخر من التفسيرات الخرافية، يسخر من نزعة التشاؤم التى يعانيها الشعب المصرى. رغم أنها تثق تماماً فى آرائه إلا أنها شعرت بالرعب فى هذه اللحظة. ومع ذلك كتمت مخاوفها وظلت مبتسمة أمام الجميع.

بعد مرور الموكب اتجهت الأنظار إليها. يعلمون جيداً سبب وجودها، ولأنهم مبهورين بشخصية القيصر، سعداء بالانتصارات الكبيرة التى حققها لهم، لم يستطع أحدهم رفض وجودها فى احتفالاتهم الخاصة جداً.

شعر كل النساء الراقيات فى روما بالإهانة. القيصر تزوجها وفقاً للقانون المصرى، وهذا الزواج لا يصح أبداً فى روما. كما يشعرن بالغيرة أيضاً من جمالها وسحرها.

بعد عدة أيام، كان الاحتفال الثانى. هذه المرة بمناسبة الانتصار فى حرب الإسكندرية. هذا الاحتفال فى غاية الأهمية لـ "كليوباترا". أصبحت الآن هى الملكة الوحيدة الممثلة لمصر هنا. يبدو أن مجلس الشيوخ كان أخرقَ عندما ساعد أخاها الذى مات مهزوماً.

فى هذا الاحتفال يسبق عربة القيصر، تحت أنظار الجميع، تمثالان ضخمان، أحدهما لـ "بوثان" والآخر لـ "أشيلاس". تأملتهما الملكة وهى

تجاهد حتى تكتم ضحكاتها. القيصر يرتدى سلاحاً ثقيلاً مذهباً، ويبدا فى نظرها الأكثر وسامة والأكثر قوة فى كل هذا العالم.

خلف عربة القيصر كانت المفاجأة المذهلة. دهشت "كليوباترا" عندما رأت أختها "أرسينوا" تسير ببطء، ذليلة، مكبلة بالقيود.

لم تستطع رفع عينيها عن هذا المشهد المروع. "أرسينوا" ترتدى ثياباً ممزقة، شعرها متسخ بالوحل، حافية القدمين. السلاسل الثقيلة تكبل قدميها ويديها ورقبتها. تجاهد كثيراً حتى تلحق بخطوات حارسها الذى يجرها مثل الأنعام. تنهد أقسى الرجال لهذا المشهد الحزين. التفتوا جميعاً إلى "كليوباترا" فلم يجدوا أى انفعالات على وجهها سوى أنها مسحت أنفها بمنديلها المعطر.

بعد "أرسينوا" مر بالموكب اثنا عشرة زرافة، من ضمن غنائم الحرب. شدت الحيوانات انتباه الجميع، نسوا "أرسينوا"، إلا أن "كليوباترا" لم تستطع رفع عينيها عن أختها التى كانت تنافسها على العرش. ابتسمت فى احتقار.

لم تستطع أبداً نسيان صورة أختها، لم تنس أبداً نشوة الرومان وصيحاتهم الظافرة. أدركت فى هذه اللحظة أن الويل كل الويل لمن يتحدى روما.

لكنها فى هذا اليوم، شعرت بنشوة عارمة للقضاء على أختها ورغبة جارفة فى الاستمتاع بالنفوذ والثروة.

١٣ ـ أوكتافيوس

مرت الأيام سعيدة. طلب القيصر من "كليوباترا" أن تقيم تمثالا كاملا خاصا بها. اختار لها أفضل نحاتين روما. فى البداية لم يخبرها عن السبب، وهى أطاعت أوامره دون تردد.

عندما علمت السبب دهشت، كما دهش كل الشعب الرومانى، صدق القيصر أنه ابن الإله "فينوس" إله الحب. ولذلك قرر إقامة معبد جديد ليهدى انتصاراته للإله "فينوس".

دعا القيصر كل رجال الإمبراطورية المهمين لحضور حفل الافتتاح. حدد الموعد بدقة ليوافق عطلة رسمية، وهكذا أصبح الاحتفال كبيراً. أثناء النهار أقيمت العروض بالأفيال والقرود التى أتى بها القيصر من إفريقيا. وأثناء الليل أقاموا المسرحيات الكوميدية والدرامية.

دهش الجميع عندما اكتشفوا أن تمثال الإله "فينوس" الموجود على مدخل المعبد ما هو إلا تمثال "كليوباترا". ثم أمر القيصر بصك عملة جديدة تحمل صورتها من ناحية ووجه ابنه من الناحية الأخرى. وبدأ بعض الناس يسخرون من هذه الأفعال الطائشة.

فى هذا الحفل التقت "كليوباترا" بعائلة القيصر. الرومان يفخرون

بعائلاتهم وأسرهم المترابطة. سعدت الملكة بهذا التعارف، لكن كان من بين الأهل شاب صغير لفت انتباهها، أثار قلقها. تقريباً كان فى السابعة عشرة من العمر، طويل ممشوق القوام، شاحب الوجه، فى عينيه بريق خاطف. إنه ابن "جوليا" أخت القيصر. اسمه "أوكتافيوس".

حاولت التودد إليه، طرحت عليه الكثير من الأسئلة لتعرف مكنون نفسه، لكنه أجاب بكلمات قليلة. يشعر بأهميته ولا يخفى كراهيته لها.

منذ عدة سنوات، فقد "أوكتافيوس" أباه، تبناه القيصر لأنه يحبه كثيراً. حسب القوانين الرومانية يجب أن يكون هو الوريث الشرعى. وكان "أوكتافيوس" طامعاً فى هذا الميراث. حتى الآن، لم يعلن أحد من سيرث الإمبراطورية، لكن وجود "قيصرون" أثار القلق فى نفسه، جعله يفقد صوابه.

التقى "أوكتافيوس" بالملكة مرة واحدة فقط قبل اليوم. حدث ذلك عندما كانت تتجول فى المدينة بصحبة القيصر. وكانت المقابلة الأولى غير موفقة أبداً.

القيصر يعلم بقلق الملكة. لكنه أهمل هذا الموضوع تماماً. "أوكتافيوس" ابنه بالتبنى. لابد أن يكون كل منهما مخلصاً وفياً للآخر وفقاً للتقاليد الرومانية الصارمة.

امتنع عن الحديث عن الميراث مع أى إنسان. لكن بلا شك يرغب فى إعلان ابنه الوريث الشرعى. كيف ذلك وروما لا تعترف بزواجه من "كليوباترا". بدأ يفكر جدياً فى استغلال نفوذه لحل هذه المشكلة.

انصياعا للتقاليد الأسرية، حاول القيصر التقريب بينهما. حدثت بعض

اللقاءات وتبادل للزيارات. لكن كل منهما ينفر من الآخر. "كليوباترا" كانت حريصة كل الحرص على ألا تترك "قيصرون" بمفرده مع "أوكتافيوس". إنها من البطالمة، تشك فى كل من حولها، الاقتتال بين أفراد الأسرة الواحدة أمر طبيعى فى البطالمة. ولذلك خشيت على حياة ابنها.

أثناء ذلك، شاع بين الناس أن القيصر سيعلن نفسه حاكماً مطلقاً للإمبراطورية. اختفى القيصر لاختبار ردود أفعال الناس. لكن الأقدار كانت تتعجله حتى لا تنفلت الأمور من بين يديه.

شعرت الملكة فى نفسها أن هذه اللحظة ستأتى قريباً، ومع ذلك كانت ترتجف قلقاً من "أوكتافيوس".

١٤ ـ أصدقاء ورومان

الحياة تختلف تماماً عن حياة الإسكندرية. المناخ مختلف، الغذاء مختلف، الناس أيضاً مختلفة تماماً.

الضجة التى أثارتها "كليوباترا" فى المجتمع الرومانى لم تهدأ أبداً. كان هناك الكثير من المراهنات حول شخصيتها. ذهلوا عندما رأوها لا تبالى بتقاليد الشرق التى يعلمونها.

تفعل كل ما يرضى القيصر. تنفذ كل أوامره، لكن الولائم الكثيرة الكبيرة تضايقها لأنها تعج بالمنافقين المخادعين، وكان القيصر يضيق بهم أيضاً. طوال عامين لم تلتق بأحد إلا يجاملها ويمدحها. هذه السياسة الانعزالية أثارت حفيظة بعض الرومان المهمين الذين لم يتلقوا الدعوات إلى دارها، وبدأوا يثيرون الشائعات ويقصون عنها حكايات مشينة.

وصلت بعض الشائعات إلى مسامعها، لم تهتم بل ضحكت ساخرة من بعضها. كانت سعيدة لاقترانها بالقيصر الذى تحبه بجنون، لماذا إذن الاهتمام بالآخرين.

القيصر منهمكاً فى أعماله. أصبح يشغل الآن ثلاثة مناصب هامة : الإمبراطور، القنصل العام، الكاهن الأكبر. المنصب الدينى جعله مهاب

الجانب. الاعتراض على آراء وأحاديث الكاهن الأكبر يعتبر جريمة كبرى وفقاً للقانون الرومانى.

بالرغم من الحماية الدينية، بالرغم من سطوته ونفوذه، إلا أن سياسة روما جعلت بعض المستعمرات تتذمر، أصبحوا يتطلعون للحرب ضد روما.

كان يناقش كل مشاكله وخططه مع "كليوباترا" لثقته فى رجاحة عقلها وقدرتها على إدارة الحكم. فى خلال عامين بدأت تنمية الشعب الرومانى. انخفضت الإيجارات والضرائب. فعل القيصر كل ما يستطيع من أجل إشاعة العدل فى كل مدن إيطاليا. ربط المدن بالعاصمة بالطرق الضيقة. دفع المدنيين للعيش فى المستعمرات لنشر الثقافة الرومانية. وبالرغم من ذلك ظهر التمرد فى البلاد التى نطلق عليها الآن : فرنسا، إسبانيا، إنجلترا، والشرق الأوسط.

لكى يستطيع القضاء على هذه الثورات لابد من موافقة مجلس الشيوخ وقادة الرومان. وهكذا تحولت دار "كليوباترا" الهادئة على نهر التبر إلى ملتقى أكثر الرجال أهمية وقوة فى روما. فى هذه الدار يستطيع مناقشة الرجال بهدوء وإقناعهم بسياسته من أجل رخاء الإمبراطورية الرومانية.

من المترددين على الدار رجل رومانى حاد النظرات، إنه "ماركوس بروتاس"، كان جانب "بومبيه" أثناء الصراع السياسى بين "بومبيه" والقيصر. وعندما اشتعلت الحرب حارب ضده. وبعد النصر فى "فارسال" سامحه القيصر احتراما للصداقة القديمة بينهما. وبعد ذلك عينه حاكماً فى أحد المستعمرات. احترقت "كليوباترا" غيظاً من هذه الرحمة، فصرخت قائلة :

- كيف تتسامح مع من حمل السلاح ضدك، حتى لو كان صديقك؟

فيجيب القيصر بهدوء :

- إنه قادر على تحمل المسئولية. ليس مجرد جندى عادى، ذكاؤه خارق وله تجارب كثيرة. روما فى حاجة إليه، موته خسارة للوطن.

- لكنه ضدك!

يشرح لها القيصر بصبر :

- "بروتاس" اختار "بومبيه" لأنه كان يعتقد فى صحة رأيه. الرجل لا يتبع إلا ضميره والمبادئ التى يؤمن بها.

تفكر الملكة برهة. امرأة تفور بداخلها دماء البطالمة تعجز عن التسامح مع الإنسان الذى خانها ولو مرة واحدة فتقول :

- إذا كان يتبع ضميره، مخلصاً للإمبراطورية، فهو ليس اجتماعيا أبداً، إنه رجل بارد.

كان هناك رجل آخر لا تحبه الملكة، ولا القيصر أيضاً. لكنهما يضطران لدعوته ليس فقط لمنصبه الهام، ولكن لأنه أيضاً أخو "بروتاس". "كاسيوس"، هذا هو اسمه. يبدو ساخطاً كتوماً، لكنه ذكى وقادر على تحمل المسئولية. ولأنه يبدى إخلاصه الدائم للإمبراطورية، ولأنه الحاكم الشرعى لروما، اضطر القيصر إلى دعوته.

كانت الملكة تكره هذين الرجلين بشدة. لكن "بروتاس" كان يتحدث إليها كثيراً عن فلاسفة الإغريق الذين كانوا سادة الفكر فى هذا العصر. معلوماته ضئيلة بالتأكيد بالمقارنة مع معلوماتها، ومن خلال هذه الحوارات أدركت كيف أثر هذا الرجل على القيصر. أما "كاسيوس" فقد كان طافحاً بالقوة والمال بلا عقل.

ذات يوم، استقبلت الدار ضيفاً كبيراً. إنه "شيشرون"، شخصية سياسية مرموقة جداً. خطبه لها تأثير كبير فى نفوس الناس. ومع ذلك يعيش فى شبه عزلة.

مثل الآخرين، اتخذ جانب "بومبيه" ضد القيصر، وأخلاق القيصر الرفيعة جعلته يتسامح معهم جميعاً. ربما يكون القيصر دعاه للتعرف على "كليوباترا" ليبهره بسحرها ويكسبه فى جانبه. لكن ظهر العداء بينهما من أول لحظة. ثم أعلن "شيشرون" بعد ذلك أنه يكره "كليوباترا"، إنها غير مهذبة ولا يثق بها.

وصل رأيه إلى مسامعها، فقالت للقيصر فى غضب:

- كيف يحكم على الناس بعدم الثقة وهو نفسه غير جدير بالثقة؟

لم يجب القيصر، فأكملت الملكة:

- أحياناً لا أفهمك. "شيشرون" يحث الناس ضدك. الناس تستمع له.

- دعيهم يسمعون له. لن أمنعه حتى لو كنت قادراً على إخراسه.

انفجرت الملكة فى الضحك ساخرة. هل من الممكن وجود إنسان متسامح إلى هذه الحد فى هذا العالم المحتقن بالمعارك.

رجل واحد فقط كان له الحق فى زيارة الملكة بدون إذن القيصر. رجل مسن اسمه "أمونيوس". من أصل شرقى، والآن يحمل الجنسية الرومانية، مصرفى، ثرى جداً، كان صديقاً لوالدها، أقرضه أموالاً كثيرة أثناء إقامته فى روما. سعدت كثيراً بمعرفة هذا الرجل اعترافا بجميله فى مساعدة والدها، كما أنها تسعى للاستفادة بخبراته الكثيرة. كان ثرثاراً، محدثاً لبقاً كثير الضوضاء.

من خلال هذا الرجل وجدت الإجابة عن السؤال الذى يلح عليها كثيراً. من بين كل هؤلاء الزوار لم تلمح أبداً "مارك أنطونيو" رغم شعبيته الكبيرة. لسبب غامض لم تطرح على القيصر هذا السؤال. لكنها عرفت السبب من "أمونيوس".

علمت أنه عند عودة القيصر من مصر وجد "أنطونيو" غارقاً فى الديون، وذلك بعد حياة البذخ والترف التى عاشها. روما تعشق الترف لكنها تلفظ من يستدين. لذلك أصبح منبوذاً فى كل مكان. لولا إيمانه بالإمبراطورية ومجدها لتم نفيه واستبعاده من منصبه.

عندما أتى "أنطونيو" لاستقبال القيصر كان يعتقد أنه يستقبل صديقه، لم ينتبه إلى أنه أصبح الإمبراطور. حزن القيصر كثيراً من التقارير التى تصله عنه. لامه على النهاية المخذلة التى وصل إليها. لكن "أنطونيو" لم يقبل النصيحة. تشاجر الرجلان. وقرر "أنطونيو" الابتعاد عن روما. وعندما علم القيصر بذلك حزن كثيراً على فقدانه. وحزنت "كليوباترا" أيضاً لأنها تحلم برؤية فارس أحلامها عندما كانت طفلة.

من أهم الحوارات التى كانت تدور فى الدار اقتراح القيصر بإنشاء تقويم جديد. التقويم الحالى يعتمد على ثمانية وعشرين يوماً فقط حسب الدورة القمرية، وبذلك يصبح هناك بعض الأيام خارج حساب السنة. بدا هذا التقويم غير عملى فى نظره.

أسند هذا العمل إلى العالم المصرى "سوسيجان" الذى كان مدرس "بطليموس". بعد حسابات كثيرة استطاع "سوسيجان" تقسيم السنة إلى ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً، وهناك يوم إضافى كل أربعة سنوات. وهذا هو التقويم المعمول به حتى الآن. وتقديراً لـ "يوليوس قيصر" تم تحديد

شهر يوليو مقتبساً من اسمه. فى هذا الشهر حقق "يوليوس قيصر" معظم انتصاراته.

مثل كل المصريين، كانت الملكة تهتم كثيراً بالفلك ودراسة الأجرام السماوية. ولذلك اهتمت كثيراً بهذا الموضوع. سعدت بوجود خرائط ورسومات كثيرة على جدران دارها لتحديد التاريخ بدقة. كما أن أخاها "بطليموس" الذى يقيم فى دار منفصلة كان يشاركها هذا الاهتمام .

أتى فصل الشتاء. هبطت الأمطار، أصبحت الأشجار عارية. ارتجفت "كليوباترا" من البرد. فى هذه اللحظة بدأت تفكر فى بلادها حيث الشمس الساطعة والهواء المعطر طوال العام .

١٥ ـ الأيام الصعبة

كان البرد قارصاً. لم تشهد روما شتاءً بهذه القسوة منذ عدة سنوات. "كليوباترا" تشك فى عودة الدفء من جديد. ترتجف وهى ترتدى المعطف الصوف فوق ثيابها المصرية الرقيقة. أرسل لها القيصر أغطية من الفراء الكثيف. أشعل بعض النيران حول الدار محاولاً تدفئتها.

بالرغم من ذلك هجم المرض. فى البداية هاجم "بطليموس" الذى أصبح يرتجف من رطوبة نهر التبر الشديدة. أتى أمهر الأطباء لعلاجه. ولحداثة سنه استعاد صحته سريعاً.

أثناء مرضه، كانت أخته تجلس بجوار فراشه لتقرأ له التقارير الآتية من مصر. كانا سعيدين بالتقدم الذى يحدث هناك. المبانى ترتفع، السفن تتلألأ فى الميناء. يتحدثان عن موطنهما وهما يشعران بالحنين الجارف الذى يشعر به المحكوم عليه بالنفى.

ثم هاجم المرض الملكة. كانت مدعوة للعشاء لدى جارها الثرى "رافوس". الطبق الرئيس كان من العجائن الرفيعة، راق لها، أكلت منه كثيراً. وفيما بعد أصبحنا نعرف هذا الطبق تحت اسم "إسباجتى". وبعد عودتها من هذه الدعوة سقطت مريضة.

"قيصرون" هو الوحيد الذى استطاع التأقلم مع المناخ والطعام. يتمتع بصحة جيدة، فيقول القيصر بفخر:

- إنه رومانى أصيل. سيصبح جندياً شجاعاً.

فتقول "كليوباترا" فى سعادة:

- إنه ابنك، وسيؤدى واجبه على أكمل وجه.

حاكم المدينة لا يأتى إلا نادراً. دبت الفوضى فى روما. من المناطق القريبة أتى آلاف الجنود متذمرين. بمساعدة بعض القادة نجح القيصر فى القبض على زمام الأمور. وبعد عودة النظام والهدوء إلى المدينة اقترح على "كليوباترا" النزوح إلى جنوب إيطاليا. المناخ هناك أفضل. فى هذه اللحظة أتت الأخبار بالتمرد الذى حدث فى إسبانيا.

فى البداية، بدا أنه مجرد تمرد بسيط. روما تعرف جيداً كيفية السيطرة على مثل هذه الأمور. لكن بعد ذلك أكدت التقارير أن ولدى "بومبيه"، منافسه القديم، هما اللذان يقودان الثوار. صيحاتهما ضد روما وجدت صدى لها فى كل أنحاء إسبانيا. اتخذ التمرد شكل الحرب. وإن لم تحارب روما فسوف تخسر هذه المستعمرة المهمة.

لم تندهش "كليوباترا" عندما رأت القيصر يستعد للرحيل إلى الجبهة. كتمت شعورها بالإحباط، ثم قالت وهى تحاول تقليد زوجات الرومان:

- أعلم أنك أقوى الرجال. لكن عدنى أن تكون حذراً على نفسك.

وعدها القيصر، لكنه لم ينفذ وعده. بعد عودته قال لها:

- عادة أحارب من أجل المجد. فى إسبانيا كنت أحارب من أجل الحفاظ على حياتى.

تمت الحرب فى كتمان، لكنها حرب دموية. تحت قيادة ولدى "بومبيه" عدد ضخم من الجنود، كلهم فى ريعان الشباب مفعمين بالقوة والنشاط، تنقصهم الخبرة. تحت قيادة القيصر عدد ضئيل، لكنهم جميعاً من الأبطال المحنكين.

لم يحصل على النصر إلا بذكائه وحنكته. اكتشف أن كل الخطط الحربية لن تجدى فاندفع إلى الحرب بنفسه شاهراً سلاحه لتشجيع جنوده.

أثناء المعركة كانت "كليوباترا" تعانى الوحدة فى روما. علمت أن "شيشرون" كتب رسالة إلى القيصر. أطلع الجميع عليها قبل إرسالها. وبعد ذلك خشى من إرسالها. عندما قرأتها الملكة أدركت السبب.

"شيشرون" يقول إذا عاد القيصر منتصراً سيصبح فى نظر الرومان مثل القائد العظيم "إسكندر الأكبر" لكن هناك سببا واحدا يحول دون وصوله إلى هذا المثل الأعلى. "إسكندر" كان يحارب من أجل الإمبراطورية الإغريقية، أما القيصر فيحارب من أجل الوصول إلى العرش. هذا رأى "شيشرون" فى القيصر.

وُزعت نسخ كثيرة من هذه الرسالة فى كل أحياء روما. كل طوائف الشعب الرومانى تعتقد فى صحة رأى "شيشرون" ورجاحة عقله. يتطلعون إلى النتيجة النهائية فى المعركة، ولذلك فضلوا عدم إرسالها خوفاً من تأثيرها السلبى فى نفس القيصر.

"مادريان" ينقل بصدق وإخلاص أخبار كل الذين يتحركون ضد القيصر إلى الملكة. يخشون من تجمع كل السلطات فى يد القيصر وحده فيصبح طاغياً.

من صديقها "أمونيوس" علمت أن هناك اجتماعات كثيرة تحدث فى دار "كاسيوس". "بروتاس" يحضر بعضها. لم تندهش من ذلك.

كتبت إلى القيصر رسائل كثيرة، بينما كانت رسائل القيصر قليلة بسبب ضراوة الحرب. حورت أحداث روما فى رسائلها لتشجعه على الحرب بينما رسائل القيصر تحمل وصفاً دقيقاً رائعاً للمعارك.

كادت الحرب أن تنتهى إلى كارثة. البرد شديد، الطرق بين الجبال وعرة ضيقة، أعداؤه صغار السن يتحركون بخفة ونشاط، بينما يتحرك هو بصعوبة تحت وطأة السن. هذا ما استشعرته الملكة من بين السطور.

لم تنزعج من كل هذا، لكنها قلقت من شيء آخر، علمت أن القيصر اصطحب معه ابنه بالتبنى "أوكتافيوس". وهذا لم يحدث من قبل. لقد عينه قائداً على أحد الألوية.

اكتشف القيصر أن "تيتوس" من بين صفوف أعدائه. هذا الرجل كان قريباً منه وشارك معه فى معارك كثيرة، بالتأكيد يعلم ما يدور فى رأسه. بسرعة بدأ فى تغيير كل خطته تماماً. ثم حدثت معركة "موندا" (قرية صغيرة بالقرب من "سيفيل")، وأصبح القيصر على وشك الهزيمة، وعند غروب الشمس خلد الأعداء للاستراحة، وفى هذه اللحظة هجم القيصر بجنوده فى ضراوة وقوة وهو يصرخ قائلاً:

- هيا يا رجال، لن نهزم من بضعة أطفال لم يكسبوا حرباً أبداً من قبل.

وفر الأعداء إلى الجبال فى ذعر، فقد الأعداء ثلاثين ألف رجل، بينما فقد القيصر ألف فقط. انتصار كاسح ومجد جديد، وحان موعد العودة إلى روما و"كليوباترا" .

فى فصل الربيع علمت بوصوله إلى روما من "مادريان". جاهدت كثيراً لتكتم لهفتها، لكنها لم تنتظر كثيراً، أتى لرؤيتها قبل التوجه إلى مجلس الشيوخ لتقديم التقارير.

بعد بضعة أيام، بينما تنتظره فى الحديقة تتأمل وجهها فى المرآة الصغيرة وتسأل نفسها إن كان سيعجبه شعرها بهذا الشكل الجديد، سمعت صوته، تركت المرآة وجرت نحوه فى لهفة مثل طفلة صغيرة. لمحته وأدركت أنه ليس وحيداً. ثبتت فى مكانها. اشعة الشمس التى تسقط على عينيها منعتها من تحديد هوية الرجل الذى بصحبته. كان الرجل فى طول القيصر نفسه تقريباً، يبدو هزيلاً رغم أكتافه العريضة، برونزى الوجه من لهيب الشمس.

اختفت بين الأشجار وهى ترقب الرجلين، همس القيصر فى أذن صاحبه الذى ضحك حتى مالت رأسه إلى الخلف وظهرت أسنانه البيضاء، تعرف هذه الضحكات جيدا، اقترب الرجلان، خرجت من ظلال الأشجار، وقال القيصر مازحاً:

ـ اصطحبت معى صديقا قديما .

ترددت الملكة برهة، وعندما عاد إليها هدوؤها مدت يدها لتصافحه. انحنى الرجل البرونزى يقبل يدها التى بدت صغيرة بين يديه قائلاً:

ـ مولاتى .

ضحكت الملكة قائلة:

ـ سعيدة لرؤيتك يا "أنطونيو".

١٦ـ تاج القيصر

جلس ثلاثتهم تحت ظلال الأشجار يتحدثون عن أشياء كثيرة. الرجلان لم يلتقيا منذ فترة طويلة، "أنطونيو" لحق بالقيصر إلى إسبانيا. سعد به كثيراً، وسعد أكثر عندما تأكد أن التقارير المكتوبة عنه تؤكد على أنه قد عاد إلى صوابه.

سعد "أنطونيو" لأن "كليوباترا"، الأميرة الصغيرة تذكرته. راح الاثنان يستعيدان معاً بعض الذكريات عما حدث فى الإسكندرية. ثم قال ضاحكاً:

- سموك تختلفين تماماً عن أختك "بيرينيس".

طلب القيصر ابنه، أتت به "إيراس" على الفور. كان الصغير قد استيقظ منذ لحظات قليلة، فراح يرقب "أنطونيو" بنظرات ثاقبة مثل نظرات أبيه، وفجأة جرى نحو أمه خجلاً .

لم ير "أنطونيو" مشهداً أروع من هذا. امرأة صغيرة جميلة، ممشوقة القوام، تحتضن ابنها الصغير بوجهه الوردى. التفت إلى القيصر فرآه يرقب زوجته وابنه بفخر.

"أنطونيو" يحب القيصر ويحترمه، يرى أنه فوق الجميع. ولذلك كان حزيناً نادماً على الشجار الذى حدث بينهما. لا يوجد من هو أعدل وأرحم

من القيصر على سطح الأرض. ولذلك كان سعيداً باستعادة الصداقة القديمة، و"كليوباترا" أيضاً. الخائنون يحيطون بالقيصر فى كل مكان فى روما. لابد من وجود هذا الصديق الوفى المخلص خاصة فى الأيام القادمة.

هم "أنطونيو" بالانصراف، فقال القيصر:

- يجب تناول العشاء معنا.

التفت "أنطونيو" إلى الملكة وهو يقول:

- هذا يسعدنى .

قالت الملكة بسرعة:

- بالتأكيد يجب تناول العشاء معنا.

عندما دخلوا إلى الدار بدأ "أنطونيو" يمدح كل قطعة. تذكرت "كليوباترا" دهشته وانبهاره بكل شيء فى قصر الإسكندرية. لم يتغير أبداً. يبدو أن هذا أسلوبه الخاص فى مجاملة من حوله، بهذه المجاملات يكسب حب واحترام الناس. يجعلك تشعر بالمرح والسعادة. يعرف كيف يعيش حياته سعيداً ويعين الآخرين على السعادة.

كان الطعام شهياً، أكد "أنطونيو" على أن الطباخ مصرى، الرومان لا يصنعون طعاماً شهياً بهذا الشكل أبداً.

بعد العشاء، راح يمدح ذوق "كليوباترا" الأنيق فى اختيار الأثاث. بهرته الأشياء التى أتت بها من مصر، خاصة المناضد الصغيرة التى وضعت عليها المباخر التى تبعث بالرائحة الذكية فى المكان. أخذ نفساً عميقا ثم قال:

- هذه الرائحة تذكرنى بالإسكندرية.

ثم راح القيصر يقص عليهما ما فعله فى معركة "موندا" فسأل "أنطونيو" :

ـ ماذا كنت ستفعل لو خسرت المعركة ؟

أجب القيصر دون تردد:

ـ الانتحار. لن أكون أسيراً أبداً.

ارتجفت "كليوباترا" وهى تقول:

ـ ستكون مذلة بالتأكيد.

ضحك القيصر قائلاً :

ـ لن أسمح لأحد أن يقودنى فى طابور الأسرى ويطوف بى فى شوارع روما.

أصبح "مارك أنطونيو" أحد أفراد الأسرة، إنه أكثر الرجال وسامة فى روما. أكثر الرجال صدقاً وإخلاصاً للقيصر. بعد بضعة أسابيع عينه القيصر فى منصب القنصل الثانى. منصب رفيع جداً. وراح "أنطونيو" يعمل بجدية ونشاط حتى أذهل الجميع، وأثبت لهم أن أيام العبث والفوضى انتهت إلى الأبد.

سعد القيصر بذلك. من قبل كان يتعامل معه على أنه جندى شجاع مخضرم، والآن اكتشف أنه قادر على الانخراط فى العمل السياسى. أما "أنطونيو" فكان ينتهز كل فرصة ليقنع كل الناس أن القيصر جدير باعتلاء العرش.

فى شهر فبراير، بينما القيصر جالس فى المنصة يشاهد المباريات والألعاب، حوله حشود غفيرة من كل طوائف الشعب ينعمون بالانتصارات

والرخاء، تقدم "أنطونيو" أمام الجميع ووضع تاجاً ذهبياً على رأسه وهو يقول:

ـ أنت الملك. آن الأوان لتقبل العرش الذى يمنحه لك الشعب.

دهش الجميع. صفق البعض بالموافقة، اعترض آخرون. وقف القيصر وهو يشير بيده رافضاً. حاول "أنطونيو" وبعض المحيطين أن يضعوا التاج فوق رأسه أكثر من مرة، دون جدوى، ثم قال بصوت جهورى:

ـ أنا القيصر، ولست ملكاً.

بعد هذه الكلمات انصرف بخطوات هادئة بينما الناس حوله تهتف وتصرخ بعبارات متناقضة. تبعه "أنطونيو" إلى أن وصلا إلى دار "كليوباترا"، ثم قال مضطرباً:

ـ كما رأيت، يرغبون فى تنصيبك ملكاً عليهم.

كان القيصر حكيماً عليماً بالشعوب، ولذلك كان فى غاية الحذر، فقال بهدوء:

ـ أشك فى ذلك.

قال "أنطونيو" معاتباً:

ـ تمتلك كل صفات ومهارات الملك. لا ينقصك سوى الاسم فقط، لماذا رفضت؟

فكر القيصر ملياً ثم قال:

ـ لا أعرف. ربما يلهمنى ربى فيما بعد!

انصرف القيصر، انفرد "أنطونيو" بالملكة فقال لها :

ـ يجب أن يكون ملكاً .

ـ موافقة يا "أنطونيو" .

وشعر "أنطونيو" برغبتها الجارفة فى العرش والسلطة .

١٧ ـ النبوءة

كل روما تتحدث عن القيصر. يحاولون تفسير كل أفعاله وتحركاته. حتى أشد الناس إعجاباً به أصابهم الإرتباك، يؤكدون أنه يرفض العرش تعففاً، ومع ذلك فهو يسير كل يوم خطوة فى طريق العرش.

بدون دعاية أو ضجيج أصبح تمثاله بجوار تماثيل الآلهة فى المعابد. وبعد ذلك، فى الكابيتول، بجوار التماثيل السبعة التى تمثل الملوك الرومان السابقين، ظهر تمثال ثامن فجأة، تمثال ذهبى خاص به. الجميع أدرك أن هذا لم يحدث إلا بأمره.

فى قاعة مجلس الشيوخ، أصبح هناك مقعداً ذهبياً ضخماً يشبه العرش خاص به. كل هذا أثار القلق. روما تفور وتغلى، البعض يرفض الملكية ويؤكد حرصه على الحكم الجمهورى. وبدأ الخوف ينتاب القيصر. بعض المقربين منه المخلصين له أعلنوا خوفهم من قوته المفرطة، يخشون على مصير روما إذا تجمعت كل السلطات فى يد رجل واحد.

لم يبد القيصر أى اهتمام بكل هذه الأحداث، بل أبدى اهتماماً كبيراً بتذليل كل العقبات من أجل تنفيذ مشاريع مجلس الشيوخ الكثيرة. كان يعلم جيداً ما تحتاجه البلاد. يتحرك من أجل رخائها دون أن ينتظر

الموافقة من أحد. أصبح الكثير من أعضاء مجلس الشيوخ يتحدثون عن انفراده بالرأى والفعل. ويبدأ السؤال يطفو على السطح : أليست السلطة المطلقة هى التى تصنع الطاغية؟.

ظل القيصر متمسكاً بمبادئ الحكم الجمهورى. أمضى حياته كلها مدافعاً محارباً من أجل ذلك. يجب أن تنعم روما بالحرية والديمقراطية.

فى هذا الشتاء كانت الآراء كثيرة ومتضاربة حول شخصيته وسياسته الحكيمة. ومع ذلك كان محبوباً، محترماً من الجميع رغم خوفهم من طغيانه.

حاولت "كليوباترا" دراسة كل هذه الآراء لكنها لم تستطع الوصول إلى شيء، بل نما قلقها واضطربت، بينما القيصر محتفظ بهدوئه. يستمع إلى المؤامرات التى تدبر ضده. حذرته "كليوباترا" كثيراً. يستمع إليها بانتباه ثم يتعامل مع الجميع وكأن شيئا لم يحدث.

كان واثقاً تماماً أن مشاريعه وخطته من أجل مصلحة روما والجاليات الرومانية المقيمة فى المستعمرات. يعمل بصدق وإخلاص فى مجلس الشيوخ، ويتحدث إلى "كليوباترا" بحماس.

اقترح تجديد وتنمية ميناء "أوستى" القريب من روما. اقترح إنشاء عدة قنوات صغيرة مثل تلك التى رآها فى مصر. بدأ يهتم بنظافة الشوارع حتى تصبح مثل شوارع الإسكندرية. حتى الآن كل شوارع روما غارقة فى الأوحال والقاذورات.

أما بالنسبة لتعديل القانون الرومانى حتى يصبح زواجه من "كليوباترا" معتمداً ويصبح ابنه هو الوريث الشرعى، فلم يستطع الوصول

إلى صيغة محددة أو تعديل معين. ربما لأنه يعتقد أنه من الممكن تأجيل هذا المشروع، أما مشاريع التنمية فيجب تنفيذها بسرعة.

بالإضافة إلى كل ذلك قرر الرحيل بقواته إلى الجبهة الشرقية فى آسيا الصغرى لتدعيمها. يؤكد أن هذه الرحلة من أجل تدعيم الإصلاحات التى تحدث فى روما. كما اقترح أن تعود "كليوباترا" إلى مصر، ثم يعودان معاً بعد ذلك. الرحلة التى سيقوم بها تستغرق عامين.

بدأ يفكر كثيراً فى هذه المعركة. عاد يتحدث إلى الجميع على أنه مجرد جندى. مل من تمثيل دور السياسى المحنك الحكيم. كما قرر أن يكتب مذكراته فى هذه الرحلة لتسجيل كل أمجاده وانتصاراته فيخلد اسمه التاريخ.

سعدت الملكة باقتراح عودتها إلى مصر. بدأت تشعر بالخطر قرب القيصر. كل الوجوه حولها تثير مخاوفها، كما أنها هى وأخاها يرغبان فى الاطمئنان على بلادهما. أكدت للقيصر أن "بطليموس" معتل، ولن يستعيد صحته إلا بعد أن يشتم رائحة الإسكندرية. كما أنه يجب عليها أن تفعل أشياء كثيرة هناك قبل عودتها إلى روما بصحبته.

أما بالنسبة لـ "قيصرون"، فعمره الآن ثلاث سنوات. يجب أن يرى البلاد التى سيحكمها فيما بعد. إذا كان ميراثه فى روما محل شك بسبب "أوكتافيوس" الذى تجاهد الملكة حتى تدفع القيصر إلى بغضه، فإن ميراثه فى مصر واضح دون شك.

رسم القيصر خطواته. سيرحل يوم ١٩ مارس، بعد رحيل الملكة بفترة قصيرة. السفينة الملكية التى ستقلها أبحرت من الإسكندرية، لكن الملكة

قررت الانتظار قليلاً حتى يستعد "بطليموس" للسفر.

فى أحد الأيام من بداية شهر مارس، بينما تعد الملكة بعض لفائف البردى استعدادا للرخيل، دخل إليها عبدها "أبو لودر" ليخبرها أن "امونيوس" يطلب مقابلتها فى أمر مهم لا يحتمل التأخير.

دخل المصرفى الثرى بخطوات ثقيلة، يبدو أنه قد بدأ مرحلة الشيخوخة والعجز. بدأ العجوز الحديث قائلاً :

ـ طاب يومك يا مولاتى.

ـ أهلاً بصديقى العزيز. تفضل.

ـ أرجو أن تسامحينى على عجلتى. لكن يجب أن تعلمى بما حدث اليوم.

انتبهت الملكة، أخبرها "أمونيوس" أن احد المنجمين استوقف القيصر اليوم. فقالت:

ـ إنهم دائماً يحاولون الحديث معه. لا أعرف لماذا لا يسمعهم. إنه يسخر منى عندما أحدثه فى هذا الموضوع.

أكمل "أمونيوس" :

ـ لكنه استمع لهذا الرجل الذى استوقفه بصراخه. حذره من منتصف شهر مارس.

هتفت الملكة فى جزع:

ـ منتصف مارس! الأسبوع المقبل!

تنهد "أمونيوس" فى أسى:

ـ سموك تعلمين ماذا يعنى هذا؟ الجميع يعلم أن رحيله سيكون يوم ١٩.

بلا شك المتآمرون يتحركون بسرعة.

ـ هل علمت بالتفاصيل؟

ـ حتى الآن لا أعلم أكثر من ذلك. أعدك أننى سأسعى جاهداً لمعرفة التفاصيل، وإلى أن يحدث ذلك يجب أن يكون القيصر تحت الحراسة المشددة.

ـ هذا ما أفعله دائماً. عندما تعلم أى أخبار يجب أن تبلغنى فوراً. إنه لا يأبه أبداً بالتهديدات.

ـ ليست مجرد تهديدات يا سيدتى. من قبل هذه النبوءة أرى الأعداء يحيطون به من كل جانب.

فى اليوم الثانى عشر من مارس عاد "أمونيوس" إلى "كليوباترا" ليخبرها أن المتآمرين قرروا اغتيال القيصر. الشعب يحبه ويحترمه، لا يجدون طريقة للتخلص من سطوته سوى الموت. ثم أكد لها أن "كاسيوس" هو زعيمهم. لم تندهش الملكة لذلك. وبلا شك "بروتاس" متعاون معهم.

فى اليوم التالى، الثالث عشر من مارس، أرسل القيصر "مادريان" إلى "كليوباترا" محملاً برسالة وهدية. الهدية عبارة عن قرط من الأحجار الكريمة، أما الرسالة فتقول إنه سيصحبها فى مساء الغد إلى دار "ليبيدوس" الذى دعاهما للعشاء.

"ليبيدوس" أحد قادة الجيش، صديق قديم للقيصر، وهو من الرجال القليلين الذين تثق بهم "كليوباترا". كتبت الرد سريعاً ووضعته فى يد "مادريان" وهى تقول:

ـ لا تتركه أبداً يا "مادريان" راقب جيداً كل ما يأكله أو يشربه. يجب أن تكون قريباً منه دائماً.

ـ هل مولاتى قلقة من حديث المنجم؟

ـ أنا قلقة من أشياء كثيرة يا "مادريان".

قال "مادريان" فخورا بأهميته:

ـ لا تقلقى يا مولاتى. لن يصيبه مكروه ما دمت حياً.

ضحكت رغماً عنها، ثم قالت وهى واثقة من إخلاصه:

ـ إذن انتبه لنفسك.

فى ليلة الرابع عشر من مارس، ذهبت إلى "ليبيدوس" بصحبة القيصر حسب الاتفاق. القيصر كان هادئاً مبتهجاً. "أنطونيو" أسعد الجميع بحكاياته ونوادره، ونسيت الملكة مخاوفها لبضع لحظات. وفجأة توجه أحد المدعوين إلى "ليبيدوس" بالسؤال :

ـ ما هى أفضل طريقة للموت؟

قبل أن يجيب "ليبيدوس" اندفع القيصر قائلاً :

ـ أفضل طريقة هى الموت فجأة.

لاحظ "أنطونيو" ارتباك الملكة، فمال نحوها قائلاً:

– ماذا بك يا سيدتى؟

ـ سأكون سعيدة عندما يمر الغد.

ـ الغد! ما الذى سيحدث غداً؟

ـ منتصف مارس.

ـ هل هذا يهمك فى شىء؟

ـ أعتقد لا.

علمت أن "أنطونيو" لم يكن بصحبة القيصر عندما استوقفه المنجم. كان مشغولاً بأعمال كثيرة كلفه بها. بعد العشاء، عاد القيصر و"كليوباترا" إلى الدار. جلسا فى الطابق الأول، المكان المفضل لكليهما. أخفض القيصر الأضواء فبدا الأثاث الفاخر يتلألأ تحت الضوء الخافت، ثم قال:

ـ قريباً سأعود إلى الخيمة. ألا يضايقك ذلك؟

قالت بحزم:

ـ أتمنى أن أكون فى الخيمة من الآن.

ـ أنت قلقة من النبوءة! إنسانة عاقلة وحكيمة كيف تصدق هذه الخرافات؟

ـ بلادى أعرق من بلادك. نحن نعلم أن هناك أشخاصا لديهم القدرة على استطلاع الغيب.

قال ساخراً:

ـ أصدقك أيتها المقدونية. لكنك تتكلمين مثل المصريين!

قالت فى دهشة:

ـ أمر مدهش فعلاً. منذ أن أتيت إلى روما أصبحت أفكر مثل المصريين. أشعر بحنين جارف إلى كل الأيام التى عاشها البطالمة فى مصر. كما أنه كان يجب مغادرة مصر حتى أصبح مصرية.

قال ضاحكاً:

ـ وهناك ستشعرين أنك رومانية.

راحت تتجول فى الحجرة بقلق، ثم وقفت ثابتة وهى تقول :

ـ ماذا أفعل كى تسمعنى؟

ـ لا أريد أن أسمع شيئاً عن حديث المنجم.

قالت فى غضب:

ـ أنا لا أتحدث عن هذا فقط. أخبرتك أنهم يستعدون لقتلك. يتحركون بسرعة. لن يتركوا لك الفرصة حتى ترحل من روما. لماذا لا تمكث هنا حتى يحين موعد رحيلك إلى آسيا الصغرى؟

ـ هناك أشياء كثيرة يجب ترتيبها. إنهم يتآمرون ضدى. لكن لا يستطيعون قتلى. لا أحب الاستماع إلى هذه الخرافات، وأتمنى ألا تستمعى إليها أنت أيضاً.

قالت متوسلة فى يأس:

ـ على الأقل لا تذهب إلى مجلس الشيوخ غداً. يوم واحد فقط ليس مشكلة كبيرة.

خفق قلب القيصر لمشاعرها العميقة. وجهها شاحب والدموع فى عينيها، فقال:

ـ ربما لن أذهب غداً. سأتخذ قرارى فى الصباح، نامى جيداً ولا تشغلى بالك. سأرسل لك "ماديان" فى الصباح حتى أخبرك بقرارى.

انصرف القيصر بعربته عائداً إلى روما. وقفت على عتبة الدار إلى أن اختفت العربة تماماً فى الظلام. بدلت ثيابها وذهبت إلى الفراش. لكنها لم

تستطع النوم. قبيل الفجر هبت العاصفة. الرعد يدق الدار، البرق يلهب السحاب، ثم الأمطار الغزيرة.

خشت أن تكون العاصفة أيقظت "قيصرون"، ذهبت لتطمئن عليه فوجدته نائماً قابضاً على لعبته بيديه فابتسمت.

من النافذة لاحظت الأنوار فى دار "بطليموس" التى كانت قريبة جداً من دارها. أرادت الاطمئنان على أخيها الصغير، خاصة وأن الأمطار توقفت. ارتدت معطفها وخرجت.

فى الحديقة وقفت فجأة. رأت جسد "مادريان" النحيل ممداً على الأرض المبتلة مطعوناً بالخنجر فى قلبه.

١٨ـ منتصف مارس

جـري " أبولـودور " في الـشوارع المزدحمـة محمـلاً برسـالة مـن الملكـة إلى القيصر، لتخبره بالنهاية المأسوية التى وصل إليها "مادريان"، كما كانت ترجوه أن يأتى إليها بسرعة وعدم الظهور فى مجلس الشيوخ اليوم. لكن الرسـالة لم تـصل. وصـل " أبـو لـودور" إلى الـدار بعـد أن غادرهـا القيـصر بلحظات قليلة .

" كاسيوس " أرسل إلى القيصر، عن طريق رجل يثق به القيصر جيداً، يطلبه على وجه السرعة فى مجلس الشيوخ. ومن ناحية أخرى عمل بعض أعوانـه علـى إبعـاد "مـارك أنطونيـو " عـن المجلس. رسم " كاسيوس" الخطة بإتقـان شـديد، لم يـترك هفـوة صـغيرة للمـصادفة. إنهـا الفرصـة الوحيـدة والأخيرة .

جرى " أبولودرو" محاولاً اللحاق بالقيصر الذى كان على أبواب مجلس الشيوخ، محاطاً بالحشود الغفيرة التى تجمعت لتحيته. بعضهم يضع فى يده وريقـات – حـسب العـادة الرومانيـة – هـذه الوريقـات عـادة تحمـل طلـب معاونتـه علـى حـل مـشاكلهم. أحـد هـذه الوريقـات لم تكـن مجـرد طلـب. كانـت تحـذيرا مـن "أرتميـدور". الرسـالة تحوى كل تفاصيل المؤامرة بدقة

بالإضافة إلى أسماء المتآمرين وأعوانهم .

لم يكن هناك فرصة لقراءة الرسالة. " كاسيوس" و"بروتاس" يحيطان القيصر، يفتحان له الطريق. وعندما وصل إلى عتبة المجلس ضحك فى ثقة وهو يقول فى نفسه : ها نحن الآن فى منتصف مارس، ماذا حدث ؟!

راح يسير بفخر على الممر الرخامى وهو يلقى بالتحية إلى الناس، إلى أن وصل مكانه الخاص محاطاً بأعضاء المجلس دون أن ينتبه إلى وجود آخرين اندسوا وسط الزحام .

أصبح واقفاً تحت التمثال الضخم لـ " بومبيه " صديقه السابق، ثم منافسه بعد ذلك. هذا التمثال مثال حى لقدرته على التسامح. هو الذى أمر بإقامته تقديراً للدور الكبير الذى قام به " بومبيه " فى خدمة الإمبراطورية الرومانية. وفجأة، بينما يتحدث إلى " بروتاس " و" كاسيوس" فى أمور هامة، شعر بأحد يجذب معطفه من الخلف حتى بدت رقبته. إنها الإشارة لبدء الهجوم .

كانت الطعنة الأولى من " كاسكا "، صديق " كاسيوس"، كان قلقاً مضطرباً فأتت الطعنة خفيفة. دار القيصر حول نفسه مذهولاً وهو يصيح : خيانة .

اكتمل الفخ وأصبحت الدائرة محكمة. المتآمرون حوله كثيرون، كل منهم يطعن من ناحية. بهذه الطريقة يصبحون كلهم مدانين أمام القانون. وحسب القانون الرومانى يصبح الأمل كبيراً فى الحصول على البراءة .

القيصر أعزل من السلاح، يحاول الدفاع عن نفسه بمعطفه الخفيف

الذى خلعه. لكن ماذا يفعل المعطف فى مواجهة الخناجر والسيوف الكثيرة. وهو يدور حول نفسه ينزف بالدماء رأى " بروتاس" وهو يوجه إليه الطعنات بسيف صغير فقال له معاتباً :

- أنت أيضاً يا بنى .

حاول الصمود قدر استطاعته، أخفى وجهه فى معطفه حتى لا يرى الخائنون الألم واليأس فى عينيه. وفى النهاية سقط قتيلاً تحت تمثال " بومبيه " . مات شجاعاً معتزاً بنفسه كما كان طوال حياته .

فر القتلة هاربين، كما فر بعض الشهود البسطاء مذعورين. الجميع يخشى من ارتباط اسمه بهذه الجريمة الشنعاء. وظل جسد القيصر مهملاً فترة طويلة مغطى بمعطفه .

انتشر الخبر فى المدينة بسرعة البرق. صرخ الناس وهم يتساءلون فى ذعر ودهشة. دهش "أنطونيو" عندما علم بالخبر. وعندما رآه الناس فى مجلس الشيوخ صمتوا جميعاً .

" كاسيوس" هو الذى عمل على إبعاد "أنطونيو" عن القيصر، لأنه يعلم جيدا الحب والاحترام الذى يكنه له. وجوده يشكل خطراً جسيما على الخطة. أما "بروتاس" كان يتمنى وجوده حتى يقتل معه. يعلم جيداً أن أنطونيو لن يكون أبداً طاغية فى يوم من الأيام، إنه مجرد جندى ذكى، محبوب من الناس. لكن يجب الآن إقناع الجميع أن موت القيصر فى مصلحة روما، ومن المستحيل إقناع "أنطونيو " بذلك. قد يكشف الحقيقة أمام الجميع .

بالرغم من حزنه وغضبه، قبض "أنطونيو" على زمام الأمور بسرعة.

طلب النقالة ثم أمر ثلاث عبيد برفع جثة القيصر برفق .

وقف الناس فى الشرفات يبكون فى صمت. القيصر يغادر مجلس الشيوخ الذى عمل به كثيراً من أجل خدمة الشعب. كان فى السادسة والخمسين من العمر، أكبرهم سناً وأكثرهم خبرة. مات الآن، ولا أحد يعرف ما سيحدث فيما بعد.

علمت ملكة مصر بالخبر قبل وصول "أبولودور". لم يستطع "أنطونيو" أن يراها إلا فى المساء. كان مشغولاً بأشياء كثيرة يجب عليه القيام بها. حسب عادة الرومان فى الجنازات كان يجب قراءة أوراقه الخاصة ووصيته. وبعد أن فرغ من كل ذلك ذهب لمواساة "كليوباترا" .

فى دارها كان الصمت ثقيلاً والظلام مهيباً، لم تترك الملكة سوى بضعة لمبات مشتعلة. مدت يدها لمصافحة "أنطونيو" فشعر ببرودتها.

لم يحتمل النظر إلى عينيها البائسة ووجهها الشاحب. تشعر بأن العالم كله قد إنهار فجأة. ومع ذلك مازالت صامدة معتزة بنفسها .

قص لها باختصار ما حدث. شرح لها كيف عمل المتآمرون على إبعاده. لو كان بجواره لقاتل دفاعاً عنه، ثم أكمل :

- " بروتاس" أخطأ لأنه تركنى أعيش. اقسم لك بالإنتقام .

- أعلم أنك كنت صديقاً مخلصاً له يا "أنطونيو" .

ولسموك أيضاً. سأفعل كل ما أستطيع من أجل حمايتك .

- لست خائفة .

كانت زوجة مخلصة، أنساها الحزن التفكير فى نفسها. وفى هذه اللحظة دخلت " شارميان " ترتجف وهى تقول :

- عذراً مولاتى. جنود كثيرين فى الحديقة .

قال أنطونيو " بسرعة :

- إنهم رجالى يجب حراسة الدار طوال الليل والنهار إلى أن يحين موعد رحيلك .

نظرت إليه مندهشة. يفعل تماماً ما كان يفعله القيصر. تذكرت عندما أمر القيصر بحراسة دارها طوال الليل والنهار خوفاً من "بطليموس" في الإسكندرية. الآن لها أعداء مرة أخرى، ويوجد أيضاً من يعمل على حمايتها. أضاف "أطونيو" قائلاً :

- هذا ضرورى.

لم يكن راغباً فى الحرب، لكنه يعلم جيداً أن الرومان أصبحوا يكرهونها. الكثير منهم يعتقد أنها السبب فى مقتل القيصر بطموحاتها وأحلامها. "بروتاس" لم يشعر بالارتياح نحوها أبداً. "كاسيوس" شعر باحتقارها له. لن يهدأ لهما بال إلا بقتلها. لا أحد يعرف ما سيحدث غداً. فقال :

- سفينتك في "اوستى" ستكون جاهزة غداً من الأفضل الرحيل بسرعة .

قالت بهدوء :

- لن ارحل قبل أن يسترد أخى الملك صحته .

- أرجو أن يتم ذلك بسرعة .

- ليس لدى أية رغبة في البقاء هنا. لكن يجب أن أعلم ماذا ترك القيصر لابننا .

ارتبك " انطونيو". لا يوجد فى الوصية أى شيء يخص " قيصرون". لم يذكره مطلقاً. ولا يوجد حل لهذه المشكلة. الأرض والحدائق ستتحول إلى متنزهات عامة لينعم بها كل الشعب الرومانى، بالإضافة إلى خمسين

درهماً لكل فرد في روما، والباقى لعائلته. الأدهى من كل ذلك أن القيصر عين "أوكتافيوس"، ابنه بالتبنى، خلفاً له .

صدمت " كليوباترا" حاول " أنطونيو" تهدئتها وهو يقول إنه لم يقرأ وصية كهذه من قبل. ثم أكد لها إذا لم يقتل القيصر فمن المؤكد أنه كان سيخص "قيصرون" بميراث ضخم. فقالت الملكة الصغيرة :

ـ لكنه لم يبدل وصيته. أنا أعرف الآن ما الذى يطلبه منى القيصر. "قيصرون" هو الوريث الحقيقى، لكنه الآن فى الثالثة من العمر. مازال أمامه سنوات كثيرة حتى يستطيع الحكم .

قال "أنطونيو" :

ـ أطلب منك أن تجعلينى واصياً عليه وتتركى لى الفرصة لأحافظ على كل حقوقه إلى أن يصبح ملكاً .

فكرت الملكة كثيراً فى هذا الاقتراح. يجب مغادرة روما، ويجب وجود مسئولاً عن أملاك " قيصرون". ولا يوجد من هو أفضل من " أنطونيو" للقيام بهذه المهمة. أشارت إليه بإصبعها الرفيع المزين بخاتم فرعونى ضخم وهى تقول:

ـ عينتك واصياً رومانياً لإبنى .

ابتسم "أنطونيو" عندما لمح الخاتم الملكى ثم قال :

ـ يجب أولاً التحقيق مع القتلة، ثم يحصل ابنه على الميراث .

نظرت إليه فى هدوء. عثرت على السند المفقود، وهى واثقة من أنه سيفعل كل ما يستطيع من أجلها هى وابنها .

وتحدثا معاً عن كل الأشياء التى يجب القيام بها الآن .

١٩ـ وداعا بطل روما

انتابت المدينة حالة من الفوضى والزعر بعد مقتل القيصر. لا أحد يشعر بالأمان. قليلون من يغامرون ويخرجون إلى الشوارع ليلا. المواطنون - وخاصة النبلاء - يحملون أسلحتهم. الشوارع أصبحت خالية. المتاجر مغلقة. روما تعيش كلها فى حالة ترقب .

المتعاونون فى الجريمة اختفوا . بعضهم هرب من المدينة. يجتمعون ببعضهم البعض، يتشاجرون ويتلاومون. لكن لن يحدث شيء أى شيء إلا بعد الجنازة العسكرية .

لا أحد يزور " كليوباترا " سوى " أنطونيو " والعجوز " أمونيوس " لا أحد يجد فى نفسه الشجاعة للاقتراب من دارها سواهما. قليلا ما كانت تذهب إلى المدينة عندما كان القيصر حياً . والآن لا ترغب فى رؤية المدينة أبداً .

فى الليلة التى قبل الجنازة استقبلت " انطونيو " الذى اعتذر لأن الوقت كان متأخرا . لكن هناك أشياء يجب أن تعلمها والموضوع لا يحتمل التأجيل. فى الصباح التقى " بروتاس " وعلم منه أنه سيلقى كلمة لحظة الدفن. " أنطونيو " يريد إلقاء كلمة أيضا، دهش عندما أخبره " بروتاس "

بالموافقة .

فيما بعد، علم "أنطونيو " من خلال أعوانه احتجاج " كاسيوس". ولأنه يعلم جيدا برغبة " أنطونيو " فى الانتقام لام " بروتاس " على موافقته. التقاء "أنطونيو" بالجماهير قد يجعلهما أعداء فى نظرهم. لكن " بروتاس " قال بهدوء:

ـ لا تخشى شيئاً. سأكون أنا المتحدث الأول، الناس تعرف قدرى جيداً. سأشرح لهم دوافعنا النبيلة، وهم يعلمون مدى ولائنا للإمبراطورية .

أخبر " أنطونيو " الملكة بذلك ثم طلب منها عدم حضور الجنازة غداً، ثم قال معللاً:

ـ ستكون هناك مخاطرة كبيرة إذا عرفك الناس. وحتى إذا لم يتعرف إليك أحد فهذا لا يقلل المخاطر. الجماهير هنا وحش كاسر.

تأثرت " كليوباترا " بمشاعره النبيلة وشكرته.

اليوم التالى، وفى ساعة الظهيرة، أصبحت الساحة مكتظة بالجماهير. ينتظرون فى هدوء غريب بدء المراسم. الجو صحو، الهواء طازج، سماء الخريف صافية.

الجسد المطعون ممد على مقعد كبير من الرخام الأبيض فى وسط المكان، مغطى بفراش من المخمل القرمزى الملكى، بجواره تاج بسيط من الورود رمزا لأمجاده الكثيرة .

بعد أن أقام الكهنة صلواتهم ودعواتهم صعد " بروتاس " إلى المنصة بهدوء، بجوار الجسد المسجى . سرت همهمة بين الجماهير وراحوا ينفخون فى ضيق. امتلك " بروتاس " أعصابه، رفع يده ثم ألقى خطبته بصوته

الجهورى الواثق من نفسه. استمع الناس بصمت مطلق. كان يتمتع باحترام الجميع لانتصاراته وللخدمات الجليلة التى قدمها للإمبراطورية. لم يكن هناك رجل يرغب فى أن تفوته كلمة واحدة يقولها هذا الفارس.

أثناء إلقائه لكلمته بدأت الجماهير تسلم له قيادتها بيسر وسهولة، اقتنعوا برأيه. طموحات القيصر الكبيرة أصبحت خطرا يهدد روما، وكان يجب قتله.

شهر " بروتاس " بالارتياح والثقة بالنفس، تلفت حول نفسه وهو يرى أن اقتناع الجماهير برأيه أصبح تاما، وعندما ابتعد عن المنصة تاركا خلفه جثة صديقه سابقاً ثم ضحيته لاحقاً، صرخ الناس يهتفون باسمه، وبدا أنهم نسوا فجأة كل أعمال القيصر من أجل خدمتهم ورخائهم.

والآن جاء دور " انطونيو " للحديث. انتبه جميع من كان فى المنصة، انتبه من كان في الشرفات والشوارع المحيطة.

" انطونيو " لم يكن بارعا فى الخطابة مثل " بروتاس " لكنه يتمتع بنبرات القائد الذى اعتاد مواجهة الصعاب بثقة. انتظر برهة فى أدب حتى ينزل "بروتاس " من فوق المنصة ثم صعد. ألقى نظرة على الجسد الملقى ثم التفت إلى الجماهير الغفيرة وبدأ كلمته قائلاً: أصدقائى الرومان، أعيرونى انتباهكم !

بدأ حديثه بكلمات بسيطة، قوية، واضحة لكنها من أعماق قلبه. ثم راح يذكرهم بما فعله القيصر من أجلهم. أخذه الحماس، انهمرت الدموع من عينيه، ثم راح يهتف مثل الرعد ضد القتلة. وحتى يضمن تعاطف الناس راح يعيد قراءة وصية القيصر الذى أحبوه كثيراً .

بدأت الجماهير تغير رأيها. القيصر ليس طاغية يستحق القتل . إنه البطل المغوار الذى حارب من أجلهم، فراحوا يهتفون ويصرخون:

- الموت للقتلة .

ثارت كل جماهير روما. أشعل ثلاثة من الأبطال المغاوير العلم القرمزى، وراح الناس يلقون بكل الحطب الذى يقع تحت أيديهم فى النار. ألقى الموسيقيون بآلاتهم فى النار. ألقى الأطفال بألعابهم فى النار.

الكل يرغب فى الثأر من أجل القيصر. أصبحت الساحة مثل البحر الهادر. الجماهير تصرخ حول النار التى ترتفع رويداً رويداً. سرى الدخان فى الأجواء، اختفت الشمس، تحول النهار إلى ليل.

اختفى " بروتاس " و" كاسيوس "، ثم هربا من المدينة.

٢٠ ـ وداعا روما

واجهت " كليوباترا " مشاكل كثيرة. لا أحد يعلم موقع " قيصرون " من الحكم. ولا حل لهذه المشكلة.

" بروتاس " و" كاسيوس " هربا بعد اكتشاف المؤامرة، وأصبح مجلس الشيوخ ممزقا بين المتنافسين.

" ليبيدوس " و" انطونيو " يعملان على حل مشاكل المجلس الواحدة تلو الأخرى. إنهما صديقا القيصر، قادران على تحمل المسئولية، والشعب يثق بهما. كما أنهما من أعضاء المجلس. يحاولان إزالة أسباب الخلاف بين المتنافسين.

لكن مازال الكثير من الناس يتساءل عما سيحدث بعد عودة " أوكتافيوس ". السؤال نفسه يلح كثيرا فى رأس " انطونيو " و" كليوباترا ".

" أوكتافيوس " كان فى اليونان منذ فترة فى مهمة رسمية. لكن فور أن علم بموت القيصر بدأ يستعد للرحيل. بلا شك، علم أنه الوريث الوحيد فى الوصية. ماذا يعنى هذا الميراث ؟ الجاه والسلطة ! رغم أن والده بالتبنى لم يكن ملكا لحظة الموت .

الكل يعلم جيداً أنه سيسعى لتوطيد نفوذه ونمو سلطاته. الكل يعلم أنه سيصطدم برأى " أنطونيو " فى أحقية " قيصرون " فى الميراث .

فى صباح ٢٥ مارس، وبعد وفاة القيصر بعشرة أيام، لاحظ " أنطونيو " عودة الهدوء النسبى فى المجلس، اعتقد أنها اللحظة المناسبة لمحاولة إقناعهم بقضية " قيصرون " رغم علمه بصعوبة هذه القضية. كلهم يعلمون بوصية القيصر. كلهم يعرفون " أوكتافيوس " بالإضافة إلى أن القانون الرومانى لا يسمح أبدا بزواج البطل الرومانى من الملكة المصرية.

لم يتركوا له الفرصة للدفاع عن رأيه. عاد إلى حجرته محاولاً ترتيب أفكاره. وفى الحجرة رأى أمامه " أوكتافيوس ".

لم يكن "أنطونيو" راغبا فى هذه الزيارة أبدا فى هذا التوقيت ومع ذلك صافح ضيفه مرحبا بحفاوة. سعد "أوكتافيوس" بهذا الاستقبال وحاول "أنطونيو" التودد له، هذه الصداقة مهمة جدا الآن .

"أوكتافيوس" واثق من نفسه تماما. إنه فى التاسعة عشرة، طموحاته كبيرة وآماله عريضة. يعتقد أن المجلس سيسلم له القيادة بسهولة وينصاع لكل أوامره أدرك "أنطونيو " أنه لن يسمح لأحد باعتراض طريقه.

أبدى الشاب الصغير رغبته فى إبلاغ المجلس بوصوله فورا. لم يستطع "أنطونيو" الاعتراض. يجب إبداء الموافقة حتى لا يسأله عن "قيصرون" رغم أن حضوره إلى المجلس فى هذا الوقت سيزيد الأمور تعقيدا.

بعد أسبوع زار "أوكتافيوس" ملكة مصر. أبدى دهشته لوجودها حتى الآن فى روما. أصبحت حديقة الدار بالإضافة إلى المزارع الأخرى متنزهات عامة كما أوصي القيصر.

الكثير من الرومان غاضبون لعدم مغادرة " كيلوبترا " لدارها. إلا أن مغادرتها الآن مستحيلة، اشتد المرض بأخيها وفشل الأطباء فى علاج الحمى.

كانت " كيلوبترا " أمرت قبل زيارة " أوكتافيوس " لها ببضع ساعات بنقل أخيها من داره إلى دارها حتى يكون تحت رعايتها. ولذلك كانت مضطربة، حزينة، بدون أية زينة. تتحدث بصوت منخفض لا يكاد يسمع فى الدار الخاوية. ومع ذلك لم يشعر " أوكتافيوس " نحوها بالشفقة أبداً.

لاحظت الملكة أنه قد تغير كثيراً. لم يعد هذا الطفل النحيف الشاحب، أصبح شاباً يافعاً مفعما بالطاقة والنشاط، يتمتع بالسلطة والنفوذ، أصبحت نظراته أكثر برودة وصرامة.

طلب رؤية " قيصرون ". اتت " إيراس " بالطفل بينما وقف " أبو لودور " فى أحد أركان الحجرة ينتظر أى إشارة من الملكة. لا أحد يطمئن أبداً لهذا الزائر.

حاولت الملكة معرفة ما يدور فى رأس هذا الشاب وهو يتأمل الطفل، دون جدوى. ثم قال " أوكتافيوس " فى أدب :

– أنا حزين لمرض أخى سموك. أتمنى له الشفاء العاجل .

– شكراً كلنا نرغب في العودة إلى بلادنا .

– الحكمة تقتضي ذلك. روما ليست أمنة الآن .

شعرت بالتهديد فى كلماته فقالت :

– بدون خالك، العالم كله ليس أمناً .

- سآتي لوداعك قبل الرحيل .

- لا تشغل بالك. المشوار طويل والدار خالية الآن .

- كما تريدين .

انحنى لها قبل مغادرة الدار. ثم التفتت الملكة لعبدها "أبولودور" وقالت :

- لا تغفل عن " قيصرون" لحظة واحدة. عاد "أوكتافيوس" وابنى أصبح فى خطر. خطر كبير .

قال العبد في إخلاص :

- لا تقلقى يا مولاتى. لن يغيب عن عينى لحظة .

ذهبت " كليوباترا" لتطمئن علي أخيها "بطليموس" فى فراشه. حاول الجلوس لكنه سقط على جنبه وعلى شفتيه ابتسامة شاحبة، ثم قال :

- أختى هل تعلمين ماذا أريد أن أرى الآن ؟

عاونته على الجلوس، وأكمل :

- مصانع الزجاج التي كانت خلف قصرنا .

- نعم. أنا أيضاً سأكون سعيدة جداً بالعودة إليها .

- هل مازالوا فى مكانهم نفسه ؟

- بالتأكيد كل شيء مازال كما هو. الجميع يتلهف عودتك .

- أريد أن انام. أنا متعب جداً

- نم يا أخى .

بعد خروج الأطباء من حجرة " بطليموس" بكت الملكة. لم تخبر أحداً بما علمته. الملك المسكين سيموت قبل أن يرى معشوقته الإسكندرية .

بعد أسبوعين، مات " بطليموس". لم يعد هناك شيء يجبر ملكة النيل على البقاء فى إيطاليا. يوم ١٥ إبريل بعد وفاة القيصر بشهر واحد، رحلت إلى ميناء "أوستى" حيث تنتظرها السفينة .

قرر "أنطونيو" اصطحابها إلى الميناء لتأمينها هى وابنها. أكد لها بأنه سينقل إليها كل أخبار روما. كما أكد أنه لن ينسى أبداً أنه واص على "قيصرون". فقالت الملكة :

- ونحن نثق بك كثيراً .

انحنى "أنطونيو" يقبل يد الملكة المزدانة بالخاتم الملكى الضخم، كما كانت تتزين بالقرط الذى كان هدية القيصر الأخيرة وعلى رأسها التاج البسيط والوحيد الذى أهداه لها .

السماء رمادية، الجو بارد، أحكمت المعطف حول نفسها وهى تقول :

- الوداع " مارك أنطونيو".

رفع يده مؤدياً التحية على الطريقة الرومانية :

- الوداع أيتها الملكة العظيمة .

رفعت السفينة أشرعتها .

مشاعر "كليوباترا " أصبحت تختلف تماماً عما شعرت به عند مغادرة الإسكندرية منذ عامين. لم تستطع تحقيق أى حلم. لم تحصل على أي بهجة. الأيام كانت مملة .

أخذت "إيراس" الطفل لتضعه فى فراشه. ووقفت الملكة وحيدة على جسر السفينة ترقب الشاطئ الإيطالى وهو يختفى. عندما أتت إلى هنا كانت سعيدة جداً للقاء القيصر. لن تراه أبداً بعد اليوم .هتفت فى الفراغ وكأنها

تحدث نفسها :

- وداعاً بلد القيصر. لست بلدى أبداً. لكن بلد ابنى . سيعود منتصراً ويصعد إلى العرش .

وقف " أنطونيو " يرقب السفينة وهى تبتعد وصدى صوتها يتردد فى أذنيه. هم بالانصراف، ثم استدار إلى البحر فجأة وقال :

- سنلقى فيما بعد يا مصر .

٢١ـ السفينة الذهبية

مر على "كليوباترا" عامان طويلان قبل أن تلتقى "أنطونيو". فى هذين العامين كانت مشغولة بحكم مصر، ونجحت فى ذلك. نشطت التجارة وتقدمت الصناعة. النيل الأخضر الغامض ينساب بيسر وسهولة ليروى الأرض الطيبة.

الملكة وابنها الوحيدان الباقيان من سلالة البطالمة. قررت أن تجعله ملكاً. تشركه معها فى الحكم. هذا يذكر الجميع بميراثه الملكى الشرعى، ويحميها من الأعداء سواء فى الداخل أو من الخارج.

الطفل يشبه أبيه كثيراً. نشيط وسيم، يبهر كل من يراه. عندما تتجول به لتريه جمال الإسكندرية يهتف الناس لتحيته. فى هذا اللحظة تختفى ابتسامة الأم الصغيرة وهى تفكر فى "أوكتافيوس". لا شك أنه يمقت ابنها — الذى هو الابن الحقيقى – مقتاً شديداً. تشعر بحقده وكراهيته يعبران البحر محاولين قتل ابنها. ومع ذلك، تطمئن نفسها بأنها فى حماية "أنطونيو" الذى أصبح الآن ذا شأن عظيم.

إنه يكتب لها من حين لآخر. رسائله لا تتمتع ببريق رسائل القيصر التى كانت تتلقاها. لكن "أنطونيو" على كل حال، صديق يحميها.

القيصر مازال يشغل كل تفكيرها، محفوراً فى ذاكرتها. كل قطعة فى القصر تذكرها به، كل شارع فى الإسكندرية، أليست بلادها هى الوحيدة التى تنعم بالحرية فى هذا العالم بفضله، أليست بلادها هى الوحيدة التى لا تدفع بالضرائب إلى روما؟

كثيراً ما تفتح خزانتها الخاصة المغلقة بإحكام وتتفحص الهدايا البسيطة التى أهداها لها. كل قطعة لها بريق خاص وذكرى جميلة. ومع ذلك فهى لا تتزين إلا بالمجوهرات الثمينة حتى تتفوق على كل ملكات عصرها.

عندما تفكر فى روما ترتجف. تفتقد كثيراً "يوليوس قيصر"، أما روما، مدينة المآسى لا تفتقدها أبداً.

فى هذين العامين فعل "أنطونيو" أشياء كثيرة. دفعه الوفاء إلى السعى للثأر لبطله وقائده. "بروتاس" و"كاسيوس" هربا من روما. يحاولان الاحتماء فى المستعمرات البعيدة بمساعدة بعض أعوانهما الغاضبين من سياسة روما، ولذلك أمر "أنطونيو" كل قواته بمتابعتهما وسحقهما فى أى مكان.

عادت حكومة روما قوية منتظمة. "أنطونيو" يعمل بالتعاون مع "أوكتافيوس" و"ليبيدوس". هذا الحكم الثلاثى لا يروق لـ"أنطونيو" أو "أوكتافيوس". كل منهما يحاول الانفراد بالحكم. كل منهما يتربص بالآخر.

بدأ تشكيل ثمانية ألوية. وبدأ "انطونيو" يستعد للرحيل بصحبة "أوكتافيوس". لقد استطاع "بروتاس" و"كاسيوس" تكوين جيش قوى فى

اليونـان. الجـيش بـالطبـع يضم الكـثير مـن أبنـاء المستعمرات التـى تـسعى للاستقلال عن روما وتحاول قهرها.

تابعت "كليوباترا" الأخبار بقلق. انتصار أعدائها سيكون له تأثير سيء على مصر. نما قلقها عندما كتب لها "كاسيوس" يطلب معاونتها. لم تهتم بإرسال الرد. لكن حامل الرسالة كان متعجلا، حاول إقناعها بضخامة قوات "كاسويس". ثم أخبرها أنه سيأمر سفنها بالإبحار دون انتظار رأيها.

"أبولودور" أيقظ "كليوباترا" فى منتصف الليل ليخبرها بتحرك الأسطول المصرى. كان من الممكن استدعاء القائد وحبسه، لكن الأسابيع القادمة قلقة مضطربة. كل سواحل البحر المتوسط ترقب ما يحدث وتنتظر النتيجة.

المعركة الحاسمة وقعت فى اليونان، على الشاطئ الشرقى، فى جزيرة "فيليب" هناك التقى جيش "أنطونيو" و"أوكتافيوس" من ناحية، وجيش "بروتاس" و"كاسيوس" من الناحية الأخرى، كانت حرباً ضارية فى الأرض والبحر.

"بروتاس" لم يتحمل الهزيمة فمات كمداً. وفى اليوم التالى، أمر "كاسيوس" أحد جنوده بقتله بسيفه. هكذا تم الثأر للقيصر.

عاد الثوار إلى بلادهم سعداء لنجاتهم بحياتهم، وانتهت الثورة ضد روما.

"أوكتافيوس" لم يكن سعيداً بالنصر. "أنطونيو" هو الذى أصبح بطلا مغوارا أمام الجميع. لقد قرر العودة إلى أثينا ليقطف ثمار انتصاره.

"ليبيدوس" فى أسبانيا، علم بعودة "أوكتافيوس" إلى روما. وفى هذا

الوقت كان "أنطونيو" فى آسيا الصغرى وآسيا يعمل على إخماد أية بادرة للثورة ضد روما. كان سعيداً بهذا التقسيم الثلاثى لأنه واثق من أن "أوكتافيوس" سيعانى من مشاكل سياسية كثيرة فى روما، إنه ليس محبوباً لا من المجلس ولا من الشعب.

"أنطونيو" كان مشغولا بأمجاده وانتصاراته، الناس فى آسيا يلتفون حوله ويتعاملون معه على أنه بطلهم. وهو بطبيعته رجل عسكرى يحب النصر والاحتفال به. أما فى روما فلا شك أنه سينشغل بحل المشكلات الداخلية والخارجية. وهو لا يميل إلى العمل السياسى، ليست لديه أطماع فى حكم العالم مثلما كان القيصر. حياته فى الحرب والنصر والتعامل مع شعوب البلاد الجديدة البعيدة.

شعب أثينا يحبه ويحترمه، يعتقدون أنه من سلالة "هرقل" ويطيعونه طاعة عمياء. فى نشوة الظفر أرسل إلى "كليوباترا" يطلب مقابلتها قبل رحيله إلى اتجاه الشرق. لقد ظهر المتمردون فى سوريا وعليه القضاء عليهم. فى الطريق سيمر بمدينة "طرسوس" وهى ليست بعيدة عن الإسكندرية ويرغب فى مقابلة الملكة فى هذه المدينة.

هذا اللقاء كان مهما جدا بالنسبة لـ "أنطونيو" لأسباب كثيرة. أصبحت مصر تمتلك أسطولاً لا بأس به. لكنه يتمتع بقيادة مدربة جيدا. من الممكن الاستفادة بهذا الأسطول من أجل تحقيق أهدافه العسكرية. لا شك أن هناك مصالح شخصية تجمعهما، لكنه يريد أيضا مقابلة ملكة مصر المحفورة فى ذاكرته بجمالها وسحرها.

رحبت الملكة بالدعوة من أجل ابنها وبلادها. "أنطونيو" أصبح بطلا مهاب

الجانب. بدأت تستعد للرحلة وهى تعلم جيداً مدى ولعه بالطابع المصرى.

زينت سفينة حربية ضخمة. المقدمة مذهبة، المجاديف من فضة، الأشرعة مجددة باللون القرمزى الملكى المبهج. كما أعدت ثلاثين سفينة أخرى لمرافقيها، للموسيقيين، الراقصين، والطباخين، فهى تعلم شراهة "أنطونيو" للأكلات المصرية.

تحركت السفينة. كانت صيغة الدعوة رسمية تخلو من أية عبارات ودية تعبر عن الصداقة. ولذلك يجب الذهاب إليه بصفتها الملكة. إذا كانت التقت القيصر أول مرة بملابس بسيطة، فيجب مقابلة "أنطونيو" وهى فى كامل أبهة الملك.

عندما صعد "أنطونيو" إلى السفينة اشتعلت كل الأضواء المبهرة. "كليوباترا" ترتدى ثوباً من الحرير الأزرق. تتزين بمجوهرات لا تقدر بثمن. هزمته بسحرها مثلما هزمته من قبل فى روما. لكن الآن، ليس القيصر بينهما.

شاعت الكثير من القصص والحكايات عما دار بينهما هذه الليلة. البعض يقول إنها نصبت له الفخ ببراعة فائقة حتى أنه لم يتردد لحظة فى إظهار مشاعره نحوها وانبهاره بها.

امتد اللقاء بينهما إلى الفجر. بهرته بالخدم والراقصين وكل أبهة الملك. وفى النهاية وقف "أنطونيو" بجوار "كليوباترا" فى مقدمة السفينة المذهب تحت أشعة اليوم الجديد.

يوم جديد لـ "كليوباترا" ملكة مصر.

٢٢ـ النجم يتهاوى

اللقاء الأسطورى كان له تأثير كبير على المخططات الرومانية. لم يعد "انطونيو " إلى روما، بل عاد مع الملكة إلى الإسكندرية لينعما بكل أنواع المتع والملذات .

أرسلت روما إليه الكثير من السفراء ليرجونه بالعودة إلى الوطن. روما فى حاجة ماسة إليه. " أوكتافيوس " على خلاف مع الوجهاء والنبلاء، ومن ضمنهم أخيه. إنها الفرصة التى ينتظرها، يعود إلى وطنه الذى يعانى من سياسة " أوكتافيوس "، يهزمه ويصبح هو الحاكم الوحيد بلا منازع. وبالرغم من ذلك لم يعد.

كتب السفراء أن " أنطونيو " إعتاد حياة الإغريق المرهفة، وهذا السلوك يعتبر مشيناً فى حق القائد الروماني. إنتشرت الشائعات بزواجه من "كليوبترا"، وأنه أهداها بعض الإمارات التابعة لروما.

سواء صدقت الشائعات أم كذبت، لا أحد يشك أبدا فى الحب الذى بينهما، " أنطونيو " مسحور بها، وهى مفتونة بحيويته ونشاطه وعشقه للحياة. مطمئنة لأنها أصبحت تحت حماية القائد العسكرى المتقاعد.

الفرق واضح بين القيصر و" أنطونيو القيصر حكيما ." أنطونيو " متهور،

القيصر ذكيا، " أنطونيو " خفيف الظل. "القيصر يطمع في حكم العالم و"أنطونيو " يعرف كيف يستمتع بالحياة. الاثنان لا يتفقان إلا في الشجاعة والإقدام.

أخطأ " أنطونيو " عندما تراجع عن قمع الثورة في سوريا. بعد انتصاره في جزيرة " فيليب " كان من السهل الانتقال من نصر إلى نصر ليصنع أمجادا كثيرة. لكنه أضاع الفرصة.

لم يهمل فقط ثورة سوريا، بل أهمل بعض الثورات التي نشبت في جهات متفرقة من آسيا وأصبح موقف الإمبراطورية حرجا للغاية. روما تلح في طلبه وهو لا يهتم بشيء سوى " كليوباترا " بسحرها والإسكندرية بفخامتها.

منذ سنوات انزعج القيصر لسلوكه المشين، الديون والإسراف في الخمر. ونجح في إصلاح نفسه حتى أصبح قادرا على تحمل المسئوليات الجسيمة. وللأسف، حياة البذخ والترف في قصر الإسكندرية جعلته يسخر من أفكار القيصر. كيف يترك الإنسان كل هذه المتع وينخرط في الحرب والدماء.

" كليوباترا "، رغم ذكائها ودهائها إلا أنها لم تستطع استنتاج المصير المظلم الذي ينتظرهما، كانت قادر على تحمل أي شيء إلا ابتعاد "أنطونيو" عنها.

لو انفصلا عن بعضهما البعض بعد لقاء " طرسوس " لأصبحت حياتها هادئة مستقرة، ولنجح " أنطونيو " في تحقيق أمجادا تضاهي أمجاد القيصر.

لكنها تحب " أنطونيو "، تعتقد أن وجوده بجوارها يحميها هي وابنها

بينما فى الحقيقة أصبحت مكروهة بشدة فى روما بسبب سطوتها على القيصر سابقا، ثم على " أنطونيو " الآن.

فى الربيع، اشتدت الأزمة فى روما. " أوكتافيوس " انفصل عن "ليبيدوس" وانفرد بالحكم. " أنطونيو " يعلم جيداً خطورة هذه الخطوة. إذ لم يعد سيضيع كل شيء من بين يديه.

فى هذه اللحظة، اكتشف أنه يطيع الواجب أكثر من طاعته لـ"كليوباترا". رحل على الفور إلى روما.

لكنه وصل متأخراً. شعبية منافسه " أوكتافيس " نمت كثيرا. لقد استطاع التغلب على انطوائه وهدوئه، اكتسب صفات جديدة، وأصبح سياسيا محنكا. وهذا يشكل خطرا جسيما على "أنطونيو " .

وبالرغم من ذلك فإنه لم يبد كراهيته لـ " أنطونيو "، فهو يعلم جيداً قدرته على جعل " قيصرون " منافساً له. إذا كان قد نجح فى إبعاد " ليبيدوس " فنجاحه ليس مضمونا فى إبعاد " أنطونيو ".

نتيجه لتحركات " أنطونيو " وأعماله سعدت به روما كثيرا وسامحته. كان من الممكن حدوث مشاحنات كثيرة بين المتنافسين، ولكن هذا لم يحدث، وبدأ الاثنان فى التعاون معاً.

" أوكتافيوس " كان له أخت صغيرة هادئة، طيبة القلب، اسمها " أوكتافيا". قرر تزويجها من " أنطونيو " رغم المنافسة الشديدة إلا أنه يحبه ويحترمه. وربما يكون هذا الوضع هو الأفضل من المنافسة الصعبة. سعدت روما كلها عندما علمت بذلك. وتم الزواج.

صدمت " كليوباترا " عندما علمت بذلك. ثارت، يئست، ثم رويدا رويداً

بدأت الانصياع لتعاليم البطالمة، فقالت في نفسها : شؤون الملك قد تجعل الإنسان يفعل أشياء ضد رغبته. وانتظرت فى وفاء وإخلاص.

لكن طال انتظارها. لمدة ثلاث سنوات يعمل " أنطونيو" و" أوكتافيوس " بمهارة وذكاء. نجحت " أوكتافيا " الرقيقة فى ربط المتنافسين فى علاقة صداقة وطيدة .

طوال هذه الفترة، كان " أمونيوس "، الصديق الوفى، يرسل إلى ملكة مصر كل أخبار روما. شعبية " أوكتافيوس " تزداد يوما وراء يوم. بينما "انطونيو " يهمل واجباته وعاد يشرب الخمور فى الشوارع العامة.

دبت الخلافات مرة أخرى بين القائدين الكبيرين حول السيادة. لم تستطع "أوكتافيا " هذه المرة الإصلاح بينهما. وقرر " أنطونيو " محاربة سوريا لاستعادة مجده وشرفه.

فى عام ٣٧ ق. م اتجه إلى مدينة " أنطاكيا " التى تقع جنوب مدينة "طرطوس " التى شهدت حبه وارتباطه بـ " كليوباترا ". كان يجب إخماد بعض الثورات التى نشبت فى آسيا الصغرى، وخاصة أن الثوار يهاجمون القوات الرومانية من حين لآخر. لو نجح فى ذلك لاستعاد شرفه بسرعة. لكنه بدلا من ذلك جرفه الحنين إلى " كليوباترا " فأرسل لها يطلب لقائها فى مدينة " أنطاكيا " .

اعتقدت " كليوباترا " أنها ستعيش أفضل لحظات انتصارها ومجدها. سامحته على السنوات الطويلة التى ابتعد عنها، سيعيشان معا فى بذخ وترف فى "أنطاكيا " مثلما كانا فى الإسكندرية. وهناك، رغم أنف " أوكتافيا "، رغم أنف القوانين الرومانية التى تمنع تعدد الزوجات، تزوج

" أنطونيو " من " كليوباترا " زواجاً رسمياً. وكانت الاحتفالات كبيرة ومبهجة على الطريقة الشرقية المترفة. وبعد أيام أهداها جزيرة " كريت " وبعض الإمارات الشرقية الخاضعة لروما. وهكذا أصبحت تمتلك بلادا كثيرة دون حروب أو انتصارات. وهذا ما أثار سخط روما بأكملها .

وأخيرا، بعد أن أمهلهم، قرر " أنطونيو " محاربة " بارثيا " لكتم كل ثوراتها. حاول أن يثبت لـ " كليوبترا " وللعالم أجمع أنه ليس أقل من القيصر. لكن إعداده للحرب لم يكن جيدا.

كان الطريق طويلاً عبر أرض " أرمينيا " التى تقع فى عمق آسيا الصغرى. الجنود لم يكونوا مدربين جيداً على الحركة فى الجبال المرتفعة والوديان الوعرة. كانت أسلحتهم ثقيلة وأصبحت المناجق عاجزة عن الحركة تماما. وراحت سهام الأعداء تتساقط عليهم من كل صوب.

فقد آلاف من الجنود بين قتيل وأسير وجريح حتى قرر التراجع. وكان الانسحاب أشد صعوبة من الهجوم. الكثير من الحلفاء منعوا عنه الإمدادات. كيف يتعاونون فى حرب خاسرة. اختفى ملك " أرمينيا " فى الوقت الذى كان فى أشد الحاجة إليه. وعاد " أنطونيو " مهزوما محاطا بجيش ضعيف عاجز عن الحرب تماما .

عادت " كليوبترا " إلى " أنطاكيا " مرة أخرى لمساعدة البطل المهزوم. لقد فقد شعبيته ومجده تماما في روما. الرومان لا يحبون إلا المنتصرين فقط. وهم يعلمون جيداً أن سبب هزيمته أنه وقع تحت سطوة ملكة مصر.

" أوكتافيا " كانت زوجة مخلصة محبة لزوجها. ولذلك أعدت قوة لا بأس بها ورحلت إلى " أثينا " لمساعدة زوجها. طلبت منه الحضور إليها

لاستلام الإمدادات حتى ينتصر ويصبح قادرا على مواجهة " أوكتافيوس " .

استلم " أنطونيو " الرسالة وهو فى أحضان " كليوباترا "، تأثر كثيرا لحب ووفاء زوجته، كما تأثرت " كليوباترا " لنبل أخلاق منافستها . ولكنها مع ذلك طلبت منه أن يختار واحدة منهما .

اختار " أنطونيو " . أرسل إلى " أوكتافيا " يقول إنه لا يستطيع الحضور إلى " أثينا "، ثم أضاف أنه ممنوع عليها القدوم إلى " أنطاكيا " .

معنى الرسالة واضح. كانت طعنة فى قلب " أوكتافيا " . ومع ذلك أرسلت له الأموال، الجنود والسلاح، ثم عادت إلى روما وهى تحاول جاهدة الدفاع عن زوجها الخائن أمام أخيها " أوكتافيوس " ولكن كيف تنجح فى ذلك ؟ ابن القيصر بالتبنى يسعى إلى الانفراد بالسلطة. أرسل "ليبيدوس" إلى إفريقيا للتخلص منه. والآن الفرصة سانحة للتخلص من " أنطونيو " .

بجنود " أوكتافيا " وإمداداتها، نجح " أنطونيو " فى شن حرب سريعة على " أرمينيا " لمعاقبتها على عدم التعاون معه. تم القبض على مليكها، ثم اقتياده مكبلا بالأغلال إلى الإسكندرية. وهناك تم الاحتفال بالنصر لأول مرة بعيدا عن روما .

بمناسبة هذا النصر منح " أنطونيو " " كليوباترا " لقب ملكة الملوك. ثم أنجبت له توأما . ولدا اسمه " إسكندر " وبنت اسمها " كليوبترا " . وهبهما "أنطونيو " بعض الإمارات التى قهرها فى الحرب الأخيرة. كما أصبح "قيصرون" يحكم مصر بالإضافة إلى بعض الإمارات الأخرى. وهكذا اتسعت المملكة المصرية، وغضبت روما غضبا شديداً .

فى عام ٣٣ ق.م، قرر " أنطونيو " الرحيل فى حرب مفتوحة ضد منافسه،

طامعا فى حكم الشرق كله بمشاركة " كليوباترا ". لو نجحا فى ذلك لأصبح لهما ملكا فخيما ومهيباً .

نجح فى تجنيد بعض الرجال داخل روما، ومن داخل مجلس الشيوخ نفسه. كان مازال هناك بعض الأصدقاء لـ " أنطونيو "، أو ربما أعداء "أوكتافيوس ". المهم أنهم أبدوا تعاونهم تماما. ولذلك رحل إلى " أمنسوس" للاجتماع بهم.

لكنهم عندما اكتشفوا وجود " كليوبترا " بجواره، وتأكدوا أنه لا يتخذ أى قرار إلا بعد مشاورتها، رجوه كثيرا أن يعيدها إلى مصر. الرومان لن يقبلوا أبدا بوجود تلك المرأة الشريرة بجواره.

استمع إلى نصائحهم وهو يضحك ساخرا، ثم أعلن أنه لن ينفصل عن "كليوباترا " أبدا. كما أنه ليس فى حاجة إلى مساعدتهم، وعندما يدخل روما منتصرا سيعرف كيف يتعامل مع هذه المدينة المتقلبة.

فى هذا الوقت كان " أوكتافيوس " يعد جيشه. نصحه بعض أعضاء المجلس بحساسية هذه الحرب، " أنطونيو " لم يكن خائنا أبدا قبل الآن. فأعلن "أوكتافيوس " :

- حربنا ضد " كليوباترا " لولاها ما أصبح " أنطونيو " خائناً.

ثم أضاف :

- " أنطونيو " ليس إلا مجرد عبد. عبد لملكة مصر.

تحرك "أنطونيو" و"كليوباترا " بجيشهما إلى ميناء " أكتيوم ". من هذا الميناء اليونانى يكشفان إيطاليا من خلال بحر إيجا.

التقى الجيشان. جيش من الغرب والآخر من الشرق. تحت قيادة

"أوكتافيوس " عشرات الآلاف من الجنود. وجيش " كليوباترا " و"أنطونيو" لا يقل عددا. كل أسطول منهما لا يقل عن أربعمائة سفينة. لكن جيش " أوكتافيوس" كان يضم جنودا مدربة جيدا، يعملون بحزم وصرامة. أما الجيش الآخر، فقد كان قائده " أنطونيو " مشغولا بكليوباترا " وبالرغم من ذلك قرروا الحرب باستبسال.

العالم كله يعيش في حالة ترقب. المتحاربان قائدان عظيمان، لكل منهما خبراته الكثيرة.

في الليلة التى تسبق الحرب، وقفت " كليوباترا " علي عتبة خيمة "أنطونيو" تشرح له خطتها. الاثنان واثقان تماما من النصر.

التفتت " كليوبترا " إلى السماء الصافية، ذهلت لما رأت. لم يكن هناك سوى نجم واحد ساطع. راح النجم يبتعد وهو يلف ويدور حول نفسه إلى أن اختفى فى الظلام تماما.

٢٣ـ المعركة البحرية

عبر " أوكتافيوس " البحر بقواته. وصل إلى الشاطئ اليونانى وأصبح شمال قوات " أنطونيو " بدأ الجيشان يستعدان للحرب. قرر " أنطونيو " التحرك بقواته جهة الشمال. وفى هذه اللحظة اعترضت " كليوبترا ". خشيت من تحرك قواتها بعيداً عنها وتبقى هى وحدها معزولة، خاصة وأنها بعيدة عن بلادها.

الذى كانت تخشاه فعلا ولم تفصح عنه، هو خوفها من سير العمليات العسكرية، قوات " أنطونيو " ضخمة جداً، لكن القيادة غير محكمة، وجبات الطعام لا تصل إلى الجنود فى مواعيدها، الجنود من بلاد كثيرة ولذلك راحو يتشاجرون مع بعضهم البعض. ولم يهتم " أنطونيو " بهذه الخلافات .

نزولاً إلى رغبة قادة جيشه وطاعة لرغبات " كليوباترا " قرر انتظار وصول أسطول " أوكتافيوس " لمهاجمته وسحقه.

تحت قيادة " أنطونيو " عدد ضخم من الأبطال، أسطوله يتكون من خمسمائة سفينة، بعضها فى غاية الفخامة ثقيل الحركة، بينما أسطول "أوكتافيوس" يتكون من أربعمائة سفينة صغيرة خفيفة سريعة الحركة والمناورة.

أصبحت الصعوبات أمام " أنطونيو " و" كليوباترا " كثيرة بعد أن أصاب المرض الكثير من جنودهما. إنهم لم يعتادوا الحرب فى البحر. الكثير منهم لم يصعد إلى سفينة طوال حياته، فراحوا يتساقطون من المرض والإرهاق.

فى اللحظة الحاسمة، قرر " أنطونيو " تعبئة كل جنوده فى السفن. الكثير من قادة جيشه اعترض، لو امتلأت السفن الضخمة بكل الجنود ستصبح عاجزة عن الحركة فى مواجهة سفن العدو الخفيفة.

كانت مجازفة بكل المقاييس. حتى " أنطونيو " نفسه لا يعلم شيئاً عن الحروب البحرية. دفع بعشرة آلاف جندى واثنى عشر ألف فارس إلى البحر فى مغامرة مجنونة.

ثقته فى نفسه واحتقاره لصغر سن عدوه جعلاه غافلاً عن الحقيقة. لا يفعل شيئاً إلا بأوامر " كليوباترا ".

فى الأمواج المتلاطمة، فى غبشة فجر يوم ٢ سبتمبر عام ٣١ ق.م التقى الأسطولان بالقرب من جزيرة " كورفو ". بدأت سفن " أوكتافيوس " السريعة الخفيفة فى إصابة سفن " أنطونيو " الضخمة، ونتيجة لضخامتها كان الاشتعال سريعاً مرعباً، أصبحت جحيماً لحرق الفرسان والأبطال. ولم يستطع أى من القادة إنقاذ الموقف.

فى سفينتها الملكية الصغيرة كانت " كليوباترا " تتابع المعركة فى زعر. أمرت قائد السفينة بالانسحاب وألا يلقى بالهلب إلا فى مصر.

عن طريق الإشارة، أخبرت " أنطونيو " برحيلها. وعلى الفور ترك موقعه وأخذ قارباً سريعاً حتى لحق بها. لم يحاول أبداً استغلال خبراته الكثيرة فى إنقاذ قواته المحترقة بل جلس صامتاً هادئاً على مقدمة السفينة التى تشق

البحر بسرعة فى اتجاه الإسكندرية، بينما قواته تنهار فى فضيحة عسكرية شهيرة عرفت بمعركة "أكتيوم" البحرية.

" كليوباترا " لم تضيع وقتها فى الندم. كانت تفكر فيما يجب عليها أن تفعله الآن. تعلم جيداً أنه يجب أن تتخذ قرارها بمفردها " أنطونيو " مستلقى على مقدمة السفينة طول الرحلة لا يحدث أحداً. لم يتحدث حتى إلى الملكة نفسها.

بعد ثلاثة أسابيع وصلوا إلى الإسكندرية. كانت عودتهما سريعة جداً حتى أن أهل الإسكندرية لم يعلموا بما حدث، فاستقبلوهم استقبال الأبطال المنتصرين. ومن خلال الهدوء والأمان فى القصر بدأ " أنطونيو " يستعيد هدوئه. ورويداً رويداً استعاد الأمل وبدأ يرسم خطة جديدة. والملكة أيضاً بدأت فى رسم خطتها الخاصة.

أدركت أنها وقعت فى فخ القدر. يجب أن تفعل كل ما تستطيع من أجل إنقاذ ابنها ونفسها وبلدها إن أمكن ذلك.

بدأت فى شحن سفن كثيرة صغيرة عن طريق البر إلى السويس. وهناك نزلت السفن إلى البحر الأحمر وأصبحت جاهزة للإبحار السريع. عما قريب سيبحر " أوكتافيوس " إلى مصر. إذا حدث ذلك سترسل " قيصرون " إلى هناك لتبحر به السفن إلى الشرق البعيد، إلى الهند. وهناك سيستطيع الحياة الكريمة عن طريق اسمها وبمعاونة بعض رجالها. إنه الآن فى السادسة عشرة من العمر، مراهق ذكى وسيم، وهى تثق فيه تماماً.

فى أثناء ذلك كان "أنطونيو" يرسل إلى اليونان بعض الموظفين الرومان المقيمين فى مصر، مازال بعضهم مخلصاً له، يطلب العون من

الجيش الإغريقى لمساعدة الملكة المقدونية، يقترح عليهم إمداده بالسلاح والجنود بأية طريقة وفى أى مكان من آسيا الصغرى، لكن النتيجة كانت مخيبة للآمال. رفضوا معاونته بعد أن لمسوا تهوره. لقد ترددت أصداء هزيمته المنكرة فى كل أنحاء البحر المتوسط.

الجميع اعتقد أن " أوكتافيوس " سيكمل حربه بتوجهه إلى مصر. لكن يبدو أنه لم يهتم بذلك. عاد إلى روما ليستمتع بالنصر، ثم بدأ فى دعم سلطته فى أسبانيا وفرنسا التى كانت تعد إمارات مقلقة بسبب ثوراتها الكثيرة.

بدأ كل أصدقاء " أنطونيو " فى التهرب منه الواحد تلو الآخر. لم يبق له إلا صديق واحد فقط اسمه " هيرود " ملك اليهود، إمارة قوية تابعة لروما. أبدى " هيرود " تعاونه لكن المقابل كان فادحاً. اقترح عليه قتل " كليوباترا ".

كان هناك دافعان لـ " هيرود " لهذا الاقتراح : الأول كراهيته الشخصية لهذه الملكة منذ سنوات طويلة، والآخر أن بغض الرومان لها قد يجعلهم يتسامحون معه إذا قتلها.

ثم أضاف أنه فى هذه الحالة سيقف بجوار " أنطونيو " فى مواجهة " أوكتافيوس " لم يرد " أنطونيو " على هذا الاقتراح .

حبه لـ " كليوبترا " يتمكن من قلبه، قلقه عليها يقوده. أرسل إلى "أوكتافيوس " يقترح عليه الانسحاب من العمل السياسى والعسكرى، وأن يقيم فى " أثينا " كأى مواطن عادى، على أن يترك " كليوبترا " وأولادها يحكمون مصر فى سلام .

لم يصل رد من " أوكتافيوس "، ويدأ القلق فى قصر الإسكندرية عندما علموا بأنه يستعد للحرب.

أصبح " أوكتافيوس " هو سيد العالم، صمته يرعب كل البلاد التى حاربت ضده مع " أنطونيو ". الجميع يرسل إليه فروض الولاء والطاعة. جنود "أنطونيو" فى اليونان انضموا إلى جيشه. لم يبق لـ " أنطونيو " أصدقاء سوى بعض الرومان المقيمين بالإسكندرية.

وبالرغم من ذلك، لم يكن " أوكتافيوس " يستحق كل هذا المجد. تهور "أنطونيو " واندفاعه هما اللذان جعلاه سيد العالم بسهولة.

وبعد عام من معركة " أكتيوم " " بدأ " أوكتافيوس " الزحف إلى مصر محاطاً بجيش يتكون من ثمانية عشر لواء.

٢٤- المشهد الأخير

المعلومات تؤكد تحرك القوات المهولة إلى مصر، وأدركت "كليوباترا" مدى الأخطار الجسيمة التى تهددها.

عندما وصل "أوكتافيوس" إلى جزيرة "رودس" التى قرر الانطلاق منها للهجوم، وجد رسالة من الملكة. الرسالة تقترح أن تتنازل عن عرشها وتعتزل العمل السياسى تماماً فى مقابل أن يحفظ "أوكتافيوس" الحكم فى سلام لأولادها. وافق "أوكتافيوس" لكن بشرط أن تقتل "أنطونيو" ويرى جثته بنفسه. كما فعل "أنطونيو" مع "هيرود" فعلت "كليوباترا". كان ردها الصمت والاحتقار.

وكان هناك رسالة ثانية إلى "أوكتافيوس" من "أنطونيو"، الرسالة تقول أن الرومان المقيمين بالإسكندرية سيحاربون الرومان القادمين مع "أوكتافيوس". إنها الحرب الأهلية إذًا. ولتفادى إراقة دماء الرومان اقترح "أنطونيو" أن تكون المواجهة شخصية، المبارزة حتى الموت. أعلن "أوكتافيوس" أن لديه طرق كثيرة لقتل "أنطونيو".

من البحر الأحمر كانت الأخبار سيئة. سفن "كليوباترا" التى رحلت بابنها إلى الهند احترقت عن طريق العرب. وهكذا أصبح " قيصرون" يعانى

الجوع والعطش فى إثيوبيا بعيداً عن الرومان.

بدأت قوات "أوكتافيوس" ترسو على الشواطئ المصرية فى منطقة "بيلوز". فى المكان نفسه قتل "بوميه" على يد رجال "بطليموس". وفى المكان نفسه انتصر القيصر فى حرب الإسكندرية. واليوم يعود الرومان للحرب فى المكان نفسه. المسافة بين "بيلوز" التى فى داخل الدلتا والإسكندرية لا تتعدى سوى بضعة أميال.

بدأ "أنطونيو" المعركة فى يأس. نجح بعض رجاله من الفرسان ورجال المشاة فى صد بعض هجمات فرسان "أوكتافيوس". لكن مازال الأسطول راسياً فى "بيلوز".

دهش شعب الإسكندرية عندما رأى العمل السريع الشاق لإنشاء مبنى ملحق لمعبد "إفروديت" المقام بجوار الميناء. المبنى الجديد عبارة عن قبة ضخمة بلا نوافذ أو أبواب. ثم لاحظوا وجود فتحة صغيرة فى القمة. "كليوباترا" تبنى قبرها على غرار ملوك الفراعنة الذين شيدوا الأهرامات. وقررت ألا تنتظر الموت حتى تدخل قبرها. بل ستدخل إليه بمجرد الانتهاء من العمل. والعمال يعملون طوال النهار والليل.

الحرب مازالت مستمرة فى الدلتا. "أنطونيو" أثبت شجاعة نادرة وخبرات كثيرة حتى أن "أجريبا" أحد قادة جيش "أوكتافيوس" عبر عن ذهوله ودهشته من المقاومة العنيفة. وبالرغم من ذلك فهو يتقدم شيئاً فشيئاً إلى الإسكندرية.

الملكة تستعد الآن للذهاب إلى قبرها. أمرت بوضع كل كنوز مصر الملكية داخل القبر، ذهب، أحجار كريمة لا تقدر بثمن، بالإضافة إلى

التحف المصنوعة من العاج. ظل العمال يعملون لمدة ثلاثة أيام لإدخال هذه الأشياء إلى القبر من خلال الفتحة الضيقة التى فى القمة. كما كان فى القبر قطعة من الصوفان لإشعال النار عند الحاجة. بمعاونة "شاريمان" و"إيراس" نقلت إلى مثواها الأخير كل احتياجاتها الشخصية.

كانت لا تبغى إلا شيئين : حفظ ملكها لأبنائها، وألا تسير فى طابور الأسرى فى روما. صورة أختها وهى تسير ذليلة مكبلة بالقيود خلف موكب النصر للقيصر محفورة فى ذاكراتها. يجب فعل أى شىء مهما كان حتى لا تقع أسيرة فى يد "أوكتافيوس". أرسلت إليه تطلب الهدنة قبل أن تفقد كل شىء.

رسالتها لم تغير خطة "أوكتافيوس". إنه لا يرغب فى الانتصار على مصر وقتل "أنطونيو" فقط. بل حريصاً على الاستيلاء على كل ثروات "كليوبترا"، ثم اقتيادها فى موكب النصر حتى يمزقها الشعب الرومانى بيده ويشفى غليله.

لم تحدث المواجهة الفعلية. قوات "أنطونيو" عندما علموا أن "كليوبترا" ذهبت إلى قبرها ألقوا سلاحهم. أدركوا أنه لا جدوى من الحرب. وهكذا اقتحم "أوكتافيوس" الإسكندرية دون أن يفقد رجلاً واحداً.

علم "أنطونيو" بموت الملكة عندما كانت قوات "أوكتافيوس" تتجول فى شوارع المدينة. رجا أحد الجنود المقربين منه لقتله بالسيف. رفض الجندى، فقام بقتل نفسه بنفسه. وبالرغم من أن الجرح كان قاتلاً إلا انه ظل على قيد الحياة بعض الوقت. وفى هذه اللحظات أدرك أن "كليوبترا" على قيد الحياة. كان "أبولودور" بجواره، فرجاه أن يصطحبه إلى الملكة ليموت بجوارها. وعاونه العبد المخلص فى ذلك. أدخله إلى القبر عن طريق حبل

متين من الفتحة الصغيرة التى فى القمة.

ألقت "كليوباترا" بنفسها على "أنطونيو" وراحت تحدثه بحنان بالغ. رجته ألا يموت وعدته بحبها الأبدى. ابتسم "أنطونيو" سعيداً بصوتها العذب، تأملها وقد بدت له أكثر سحراً وجمالاً من ذى قبل. التقط أنفاسه بصعوبة ثم قال:

- أنا أموت يا مصر.

مات "أنطونيو". بكت "كليوبترا" كثيراً. غطى "أبولودور" الجثة بالمعطف، ثم قامت "شاريمان" بمعاونة "إيراس" بدفنه.

ذهب "أوكتافيوس" بنفسه إلى معبد "إفروديت" وهو يعلم أن "أنطونيو" مات بجوار "كليوبترا" كما كان كل منهما يتمنى.

أقسم لها بشرفه الرومانى بأنه لن يؤذيها، ولن يؤذى أبناءها. وأن مصر ستظل مستقلة حرة. بينما الإمارات والمقاطعات التى وهبها لها "أنطونيو" ستعود إلى الحكم الرومانى.

"كليوباترا" تثق كثيراً فى شرف الجندى الرومانى. رأت العرض يحفظ الأمن لبلادها و"قيصرون "، فخرجت من قبرها رغماً عنها وعادت إلى القصر.

فى القصر، رأت حراسه يحيطون بجناحها من كل مكان. أكد لها أنهم من أجل حمايتها فقط، لكنها أدركت أنها وقعت سجينة. لا أحد يستطيع الاقتراب من جناحها سوى خدمها الخاص وبعض من يأتون لها بالطعام.

من نافذتها المطلة على الميناء لمحت حركة محمومة ونشاطاً مكثفاً فى أحد القوارب الصغيرة. سألت الجندى الرومانى الذى كان بجوارها

فأخبرها بالحقيقة، ربما تهور منه أو إشفاق عليها، فقال:

- إنه القارب الذى سيقودك إلى روما .

أدركت خدعة "أوكتافيوس"، فسألت:

- متى الرحيل؟

- غداً سيدتى .

يجب إذاً تنفيذ الخطة التى رسمتها من قبل، قالت لعبدها المخلص "أبولودور":

- أريد ثمار التين الطازج .

انحنى العبد قبل الانصراف .

منذ عدة أسابيع درس العبد مختلف أنواع السموم حسب أوامر الملكة. أدرك أن سم الأفاعى الصغيرة هو الأسرع فى الموت والأقل إيلاماً. والآن عليه أن يأتى بالحية دون علم الحراسة المشددة التى حولها .

عادت "كليوباترا" إلى النافذة، تأملت الميناء الواسع والبحر المترامى. تذكرت عندما كانت تجلس هنا وهى طفلة صغيرة تحلم بالسفر إلى البلاد البعيدة. تذكرت عندما رحلت متلهفة للقاء القيصر. ثم تذكرت عندما رحلت للقاء "انطونيو" . من هذه النافذة كانت البداية، ومنها أيضاً ستكون النهاية.

عاد "أبولودور"، نجح فى النفاذ بسهولة من الحراسة المشددة. يحمل ثمار التين فى سلة صغيرة، وتحت الثمار كانت الحية.

وقفت "كليوباترا" تتأمل "شاريمان" "ايراس"، و"أبولودور"، ثلاثتهم

شاركها حياتها، النصر والهزيمة، السعادة والحزن. الثلاثة يرقبونها فى جزع. مدت يدها إلى السلة ويبدو على وجهها هدوء غريب، ثم قالت:

- الوداع أيها الأعزاء الأوفياء.

التقطت الحية من تحت ثمار التين. حية صغيرة تتلألأ تحت الضوء الخافت. اقتربت الحية من رقبتها وعضتها مرتين. ثم قالت:

- اتمنى أن أدفن بجوار "انطونيو" .

وأظلمت الدنيا من حولها.

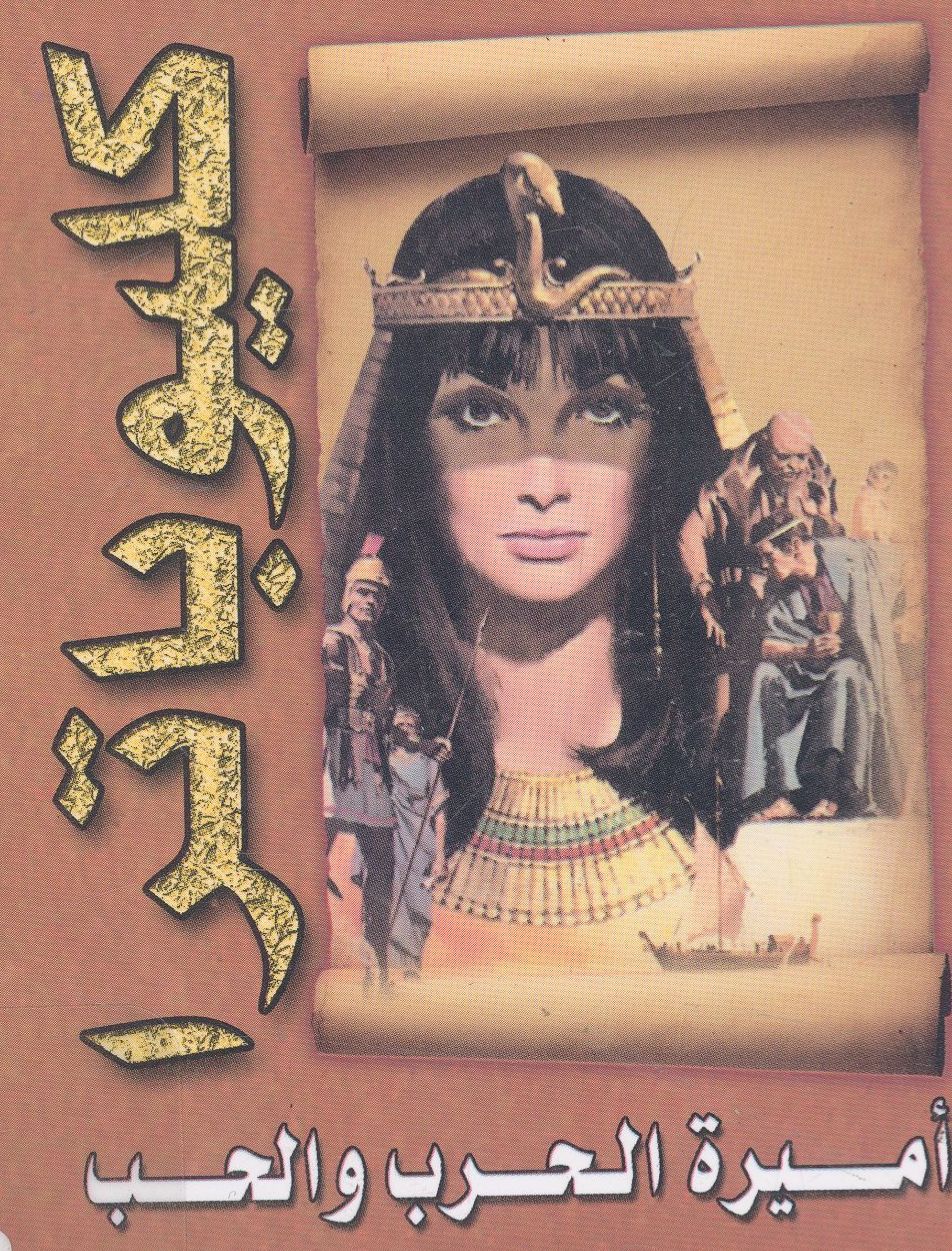
حدث ذلك يوم ٣١ أغسطس عام ٣٠ ق.م. كانت فى التاسعة والثلاثين. كان انتحارها انتصاراً مضاعفاً لها.

لن يقودها "أوكتافيوس" أسيرة فى موكب النصر. ومن الناحية الأخرى لم تعلم بموت "قيصرون" مخنوقاً حسب أوامر "أوكتافيوس". كان يرغب فى الخلاص من القيصر ومن كل ما يذكره به.

أصبحت مصر مستعمرة رومانية. حكم "أوكتافيوس" العالم تحت اسم "أغسطس قيصر".

بدأ العالم يتغير تماماً. لكن مازالت مصر البلد العريق فى الوجود. مازالت الأهرامات الثلاثة تبهر العالم مثلما بهرت "كليوباترا" والقيصر. مازال البحر المتوسط أزرق. ومازال النيل الأخضر يجرى. وفيما بعد تم اكتشاف منابع النيل مثلما كان يحلم القيصر. ومازالت هناك الإسكندرية التى شيدها "إسكندر الأكبر". لكن لا يوجد أبداً من تشبه "كليوباترا".

المحتويات



أميرة الحرب والحب



دار مشارق